
Bibliotheca Alexandrina
0014394



عصر هيل سلاسي الأول

بقلم

عمر محمد علي الإتيوبي

خريج كلية أصول الدين
من الجامعة الأزهرية

الطبعة الأولى

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)
١٩٥٤

إثيوبيا

في عصرها الذهبي   عصر هيلاسلاسي الأول

ثغر
مصوع
أسمرة
ثغر
عصب
تجري
والو
أديس أبابا
إثيوبيا
أوجادن
سيدامو
بالي
برونا

خريطة

الإمبراطورية الأثيوبية الحديثة



الأسد الخارج من سبط يهودا

هيل سلاسى الأول

امبراطور إتيوبيـــا



مثال العز والمنعـــة ، والعظمة والرفعـــة
صاحبة الجلالة الامبراطورة المعظمة ((انجي منن))



حضرة صاحب السمو الامبراطورى ولى عهد اتيوبيا المعظم
الأمير « اسفاوسن »



صاحب السمو الامبراطورى دوق هرر « الأمير مكنن »



صاحب السمو الامبراطوري الأمير سهل سلامى

فهـــــرس

فاتحة بقلم الشاعر العبقرى الأستاذ عزيز أباظة ٥
اتيوبيا فى عصرها الذهبى ٧
تقديم : بقلم فضيلة الشيخ عمر أحمد الأزهرى الاتيونى . ٩
مقدمة : للمؤلف ١٣
الفصـــل الأول : تاريخ يتكلم ١٩
حالة اتيوبيا السياسية والاجتماعية قبل عهد جلالته . . ٢٣
الفصل الثانى ـ بيان المراحل التى مر بها جلالته ونبذة عن حياة
والده العظيم ٢٧
الفصل الثالث ـ اختيار دجزماج تفرى وليا للعهد . . . ٣٧
الفصل الرابع ـ الخدمات التى أسداها الى بلاده وهو ولى للعهد ٤٣
الفصل الخامس ـ تتويج جلالة الامبراطور ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ٤٧
الفصل السادس ـ الاعتـــداء الايطالى ـ ٥١
جلالة الامبراطور فى ميدان القتال ٥٣
مغادرة جلالته عاصمة ملكه ٥٤
الحرية ٥٥
الفصل السابع ـ عودة جلالته الى وطنه « ٥ مايو سنة ١٩٤٢ » ٥٧
الفصل الثامن ـ الحركة الفكرية ـ التعليم ـ ٦١
الأزهـــر ٦٥
الفصل التاسع ـ انشاء المسرح القومى ٦٩
الفصل العاشر ـ صوت اتيوبيا على موجات الأثير . . . ٧٣
الفصل الحادى عشر ـ الصحافة ٧٧
الفصل الثانى عشر ـ انشاء المحاكم الشرعية الاسلامية . . ٨١
الفصل الثالث عشر ـ اريتريا ٨٧

صفحة

	صفحة
الفصل الرابع عشر ــ وفد اريتريا فى عاصمة الامبراطورية « أديس ابـا »	٩٥
الفصل الخامس عشر ــ الرحلة الملكية الى اريتريا وزيارته « اكسوم » المقدسة فى طريقه	١٠٥
الفصل السادس عشر ــ زيارة جلالة الامبراطور لمصوع . .	١١٩
عودة الى رحلة مصوع	١٢١
مدرسة هيل سلاسى الأول بحرقيقو	١٢٥
الفصل السابع عشر ــ التاريخ يعيد نفسه ــ عودة الامبراطور من مصوع الى أسمره	١٢٩
الفصل الثامن عشر ــ علاقة الاسلام باتيوبيا	١٣٧
الفصل التاسع عشر ــ مصر واتيوبيا	١٤٥
الفصل العشرون ــ زيارة الامبراطور لمدينتى كرن وغرضت	١٤٩
الفصل الحادى والعشرون ــ عودة الامبراطور الى اديس ابيا وزيارته مصوع فى الرحلة الثانية فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٣	١٥٧
الملك فى مصوع ــ بناء المسجد والكنيسة	١٥٩
الفصل الثانى والعشرون ــ الزيارة الثانية لأسمرة . . .	١٦٧
الفصل الثالث والعشرون ــ افتتاح المسجد والكنيسة فى مصوع وكلامه التاريخى	١٦٩
خاتمة	١٧٧
أتيوبيا الخالدة ملكا وشعبا	١٧٩
« بعث أمة » قصيدة شعرية مهداة بقلم الصحفى الشاعر الأستاذ عبد المنعم قنديل	١٨٠

فاتحـــة

بقلم حضرة السـيد الشـاعر العبقرى ، والفيلسـوف العظيم ، والكاتب الموهوب ، الأستاذ

عزيز اباظه

تفضل سيادته — حفظه الله — فزيّن هذا الكتاب بتلك اللؤلؤة اليتيمة ، والدرة الفريدة ، التى ينبعث منها شعور فياض بما يكنه الشرقيون من محبة واعزاز .. بعضهم لبعض صديق ولىّ ، وحميم وفىّ ، فالشرق كله أسرة يربطها الحب والايثار ، يتجلى ذلك فى كل مناسبة مهما نأت الديار ، واختلفت اللغات والأديان .

فـكأنى بالشـاعر الجليل الأسـتاذ عزيز أباظة يشـاطر كاتب هذا السفر شعوره مشاطرة صادرة عن احساس صادق ، وروح صاف ، وعاطفة مرهفة شفافة .

فان من يقرأ كلمته يستشف منها صدق الاخلاص ، وفيض المودة — لا للكتـاب وكاتبه — بل للقطر الاتيوبى الذى رأيت عن كثب ما يتمتع به من منزلة كريمة فى نفوس اخواننا — بل أشقائنا — المصريين بصفة خاصة ، والشرقيين بصفة عامة .

فليحى الشرق لأهله ، وبأهله .

اتيوبيا
فى عصرها الذهبى

لعل فى هذا الكتاب القيم من تصوير ممتع ، لشعب تسنم هضبة المجد، وأمة توقلت فى مصاعد الحضارة ، وملك توطدت أواسيه على العدل ، ما يحفز المؤرخين المعاصرين الى التهدى بلمحاته ، فى ابراز القيم الانسانية ، مجلوة فى اطار من الدقة والاستقراء حتى يتسنى للشعوب المتخلفة أن تواكب تطور الحياة ، وللامم المهيضة أن تنفض غبار الضيم . ففى النماذج البشرية العليـا ما يعين على استجلاء معالم الطريق ، اذا انبهمت السبل ، وحال ظلام الحوادث دون رؤية محاسر الخير ، ومعارف الجمـال .

ومؤلف هذا الكتاب أديب عاصر الحوادث وعاصرته ، وعاش فى غمارها أشبه بمرصد دقيق ، تنبض فى زواياه دقات الزمن ، وتختلج على جوانبه حركات الحياة ، وعندى أن التاريخ أصدق ما يكون اذا سطرت صحائفه قبل أن يتطاول به الزمان ، وتتوزع حواشيه أيدى النسـيان . والمؤرخ الحق من يستطيع أن يتجرد من نوازع نفسه ، وعواطف قلبه ، ليتهيأ له سداد الرأى ، وصواب الفكرة ، وقوة الحجة ، فلا يطغى احساس العقيدة ، ولا يجور شعور الجنس ، فتختل الموازين ، وتفسد المقاييس وتزيغ الأحكام ، وهذا الـكتاب كما يراه القارىء ، يتحدث عن ملك مسيحى ، بسط العدل فى أرجاء ملكه ، وأجج الوطنية فى جوانح شعبه

فدفعت هذه الروح المتحفزة الواثبة الأستاذ الأديب « عمر محمد على » الى تسجيل هذه الفترة المجيدة من حياة ذلك العاهل العظيم .

وأشهد . لقد غمرنى الاعجاب بهذا الكتاب ، لأنه يعتبر اشراقة جديدة فى تاريخ « اتيوبيا » ، اذ أن هذه البلاد — رغم ما أحرزت من أمجاد وتقلدت من مفاخر — لا يزال كتابها ومؤرخوها يتحدثون عنها باللغة « الاتيوبية » الوطنية ، وهى اللغة السائدة فى البلاد ، أو اللغات الأجنبية الأخرى . فاذا طلع عليها اليوم أديب من أبنائها يعدد مآثرها بلسان عربى مبين ، فهذا موطن الفخر ، ومجال التقدير والاعجاب .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام ، أن بين « اتيوبيا ومصر » من وشائج المحبة ، وروابط الود ، وصلات النيل المبارك ، ما يبعث فينا الشعور باكبار هذه الروح القومية التى تتمثل فى أطواء هذا الكتاب ، فلقد توحدت مشاعر هذا الشعب الأبى من زمن موغل فى القدم ، فلم يستطيع الغزاة ، وقد أصحروا له بالعداوة أحقابا طوالا ، أن يفرقوا بين العنصرين ، أو يحولوا دون اجتماع القلوب على المحبة ، وامتزاج النفوس على الوئام ، ولذلك عجزت حيل الغاصبين على مدار القرون ، عن أن تبدد الشمل الجميع ، أو تمزق الوحدة المتماسكة .

وعهدنا ببواكير الأدباء أنها ارهاصات لها ما بعدها ؛ ذلك لأن ملكاتهم الفتية الناشئة لا تزال فى مرحلة النضج ، وطور الاكتمال ، ولكن هذه الباكورة تجمع لها من عناصر القوة والأصالة ، ما جعلها تتميز بسمات تعز على كثير من مثيلاتها ، وحسبها أنها جمعت بين جمال الأدب ، وجلال التاريخ .

عزيز اباظه

تقـــديم

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عمر أحمد الأزهرى الاتيوبى
القاطن ببلدة درداوا من أعمال هرر . وهو أحـد علماء الأزهـر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

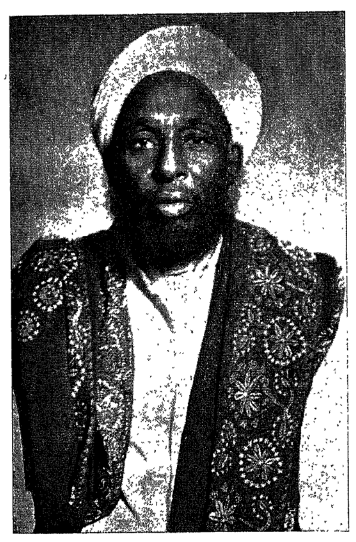
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسـلين ، سيدنا محمد النبى الأمين . وعلى آله وأصحابه الأكرمين ، والتـابعين وتابعيهم الى يوم الدين .

أما بعد — فقد اطلعت على هذا الكتاب التاريخى الذى ألفه حضرة الأستاذ الفاضل عمر محمد على ، وأسماه :

« اتيوبيـا فى عصرها الذهبى عصر هيـل سـلاسى الأول » ، وأنعمت النظر فيه فاذا هو روضة يانعة الثمار لمن يريد معرفة أحوال اتيوبيا منذ فجر الاسلام ، حتى اليوم ، ولا سيما فى عصر **جلالة الامبراطور هيـل سلاسى الأول** الذى يعتبر بحق عصرا ذهبيا ، كما أشار اليه صاحب الكتاب بعيدا عن المبالغة والاطراء ، احقاقا للحق والتاريخ .

وفى الواقع أننى أعلم الناس بجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول ، ومقدار حبه لشعبه على اختلاف عناصره ومذاهبه ، وسهره على سعادته ورقيه وتقدمه ، مع تطور الزمن الذى جعل اتيوبيا فى وقت وجيز تقطع هذا الشوط البعيد ، والمسافة الطويلة ، الى الأمام ، مع قافلة شعوب

العالم . وحتى استطاعت أن تساير ركب الحضارة الانسانية فى عصرنا هذا ، وتواكب الدول ذات الشأن ، بل ذات العظمة والمجد ، فيصبح صوت اتيوبيا مسموعا ، ورأيها عاليا ، ورأسها مرفوعا .



فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عمر احمد الأزهرى

وانى لا يسعنى الا التنويه بالمجهود القيم الذى بذله مواطننا الفاضل الأستاذ عمر محمد على المؤلف فى اخراج هذا الكتاب ، الذى جاء نتيجة اخلاصه وتفانيه فى مليكه ، الذى هو رمز وطنه ، فهو اذن ليس وليد فكرة طارئة ، ولا لمحة عابرة ، بل ثمرة جهاده العلمى الشاق ، وتعمقه فى الدراسات ، وتنقيبه نهارا ، وسهره ليلا ، باحثا عن الحقيقة المجردة ، التى هى طلبة المنصفين ، وبغية المحققين ، المنزهين عن الفتون والأهواء ، المترفعين عن التعصب والجهالة العمياء .

وان هذا البحث الذى يسعدنى تقديمه الى مواطنى والى العالم كله لدليل واضح على عرفان الجميل أولا ، وعلى أن من أبناء اتيوبيا من يستطيعون اليوم أن يعرفوا وطنهم العظيم الى العالم أجمع ، فى صورته الحقيقية ، صورته المصقولة المجلوة ، المزدانة بالصدق ، البعيدة عن الدعايات المغرضة ، والأقوال الزائفة .

فاتيوبيا بلد ذو حضارة عريقة ، وذو حضارة طريفة أيضا — كما جلى ذلك بحق الأخ الأستاذ عمر — يتمتع شعبها فى ظل امبراطورها العظيم بحكم مثالى للعدالة والنزاهة والانصاف .

وهذا الكتاب الى أنه ضوء واضح للمبصرين من المنصفين فى العالم كله ، فهو أيضا — وصاحبه — نموذج كريم ، ونبراس مضىء ، لنابتة الجيل الاتيوبى ، هذه النابتة التى يعلق عليها الوطن كل آماله ، وينيط بها — فى عصر مليكها — جميع أمانيه ، لمستقبل زاهر ، وعصر باهر ، فى عهد من أكرم العهود ، ذلكم عهد جلالة الملك **الامبراطور هيل سلاسى الأول** زاده الله عظمة وتوفيقا

الفقير الى الله تعالى

عمر أحمد الأزهرى الأتيوبى

در داوا — هرر



مقدمة

ان اتيوبيا الحديثة قد ارتقت من النواحى الفكرية والثقافية والاجتماعية ، فى عصر جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول وسارت الى المجد بخطوات واسعة ، حتى سرت المدنية بين أنحائها وشملت جميع ما تتطلبه الحياة المثالية من وسائل العيش الميسور ، ومن أسباب البهجة والحبور .

وقد انبرى الكتاب قديما وحديثا الى الكتابة عنها والبحث والتنقيب عن تاريخها بلغات متعددة وأساليب مختلفة ، وأغراض متباينة ، دفعهم الى ذلك موقعها الجغرافى الموهوب من الناحية السياسية والاستراتيجية والتجارية ، وماضيها المجيد الغنى بالعلاقات التاريخية التى تربطها بالشعوب الأخرى من قديم الزمان .

وقد خط يراع كثير من الوطنيين من أهلها أسفارا خالدة بلغتى الأمهرية والتجرية فى جميع عصورها المختلفة حتى عصر نهضتها .

وأرانى مدفوعا بدافع الحب والولاء للوطن والملك أن أدلى بدلوى فى الدلاء وأشارك اخوانى فى هذا المضمار ، وأدون مختصرا عن وطنى الحبيب ممثلا فى شخص جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول باللغة العربية ليقرب نأى الديار ، وشطر المزار بين الناطقين بالضاد ، حتى يروا معى اتيوبيا الحديثة فى ثوبها الجديد بصورتها الحقيقية متحدة

الكلمة ، واضحة الأهداف ، ظاهرة المعالم ، قد وصلت الى ما ترنو اليه فى ظل عاهلها العظيم جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول الذى لم يأل جهدا فى توجيه شعبه وجهة صالحة تتمشى مع تطور الزمن وتقدمه راسما لهم المثل العليا ومبينا الغاية النبيلة ، والوسيلة الصالحة ، حتى وثب بهم الى نهضة جديدة تضارع ما فى غيرها من الأمم .

وقد سميته :

اتيوبيا فى عصرها الذهبى ، عصر هيل سلاسى الأول

على أننى لم أتبسط أثناء هذا الكتاب فى بيان اتيوبيا من ناحية مناخها وحسن موقعها . أو أتناولها بالوصــف من حيث الجمال والرقة لأننى لم أجعل هذا الغرض غايتى الأولى من وضعه ، ولأن اتيوبيا تتطور فى تصويرها تبعا لما تقضى به حاجات العصر . ونحن فى زمن تسرع فيه الأشياء الى التحول حتى لترى ما كان صالحا بالأمس قد أصبح اليوم عتيقا أن حدث بعده خير منه وأدنى الى الفائدة . لكننى تبسطت فى فصول الكتاب فى تحليل شخصية الامبراطور العظيم معددا مآثره ومبينا أياديه البيضاء على اتيوبيا ، تلك الدولة التى نقلها وارتقى بهـا حتى سايرت ركب الحضارة واستقلت متن المدنية — لاقتناعى بأن جلالته هو سبب الخير لها . وان عهده هو عهد الاصلاح وقد جعلت جل همى أن أتتبع مراحل حياته منذ البداية حتى ألتمس ما فيها من أسوة وعبر . ولم أتقيد فى تفكيرى وتأملى برأى كاتب أو تصوير مؤرخ ، وانمـا التزمت فيه منطقى وعقيدتى الذاتية اللذين كونتهما لى الحياة السياسية التى مكنتنى من واسع الاطلاع على ما لجلالته من فضل وكرم . فقد رأيته باذلاً مضحيا فى سبيل وطنه بالنفس والنفيس .

وآثرت الاطناب فى الحديث عن جلالته قبل ارتقائه العرش لما له من منن عظيمة على بلاده قبل تملكه زمام أمورها واصفا شعور الأهالى نحوه واندفاعهم الى اختياره وليا لعهد الامبراطورية الاتيوبية مع منحه السلطة التامة فى ادارة شئون الدولة . مبينا تلك الخدمات العظيمة التى أسداها لبلاده وهو ولى للعهد . معرجا على تتويج جلالته بتاج الامبراطورية والمناداة به ملكا للبلاد . وأثر ذلك فى نفوس المواطنين .

ولم يفتنى أن أبين جهاد جلالته وتذليله تلك العقبات التى صادفته منذ توليه العرش ، بما آوتى من صبر وجلد وتحمل للمشاق ناقلا كلماته القيمة فى هذه المناسبات التاريخية الخطيرة .

وقد رأيت أن أتوج كتابى بزيارات جلالته لأنحاء بلاده لما لتلك الزيارات من أثر بالغ فى توحيد الكلمة ، وجمع الشمل بين أبناء الأمة جميعا .

وان لارتيريا القدح المعلى والنصيب الأكبر من العناية فى هذا المختصر ، لما أبداه جلالته نحوها من عطف بالغ واهتمام كبير حتى تمكنت من اتحادها مع شقيقتها اتيوبيا اتحادا (فيدراليا) .

ولم آنس أن أعرض للقارىء ما بذله جلالته لارتقاء دولته من النواحى الفكرية والصحية والاجتماعية والدينية . بانشاء المدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس . رابئا بنفسه عن التعصب المقوت ، ملقنا شعبه دروس السماحة والعدالة .

ولقد كشفت لى أعمال جلالته صورة حقيقية للبلاد الاتيوبية تختلف أشد الاختلاف عن صورتها فى الوقت الحاضر . وتختلف عما وقر فى نفس الكثيرين من صورتها فى أيامها الماضية .

وقد أظهر جلالته من السماحة ما جعلنى أقرن وأرجع باتيوبيا فى **عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم** حيث أكرم النجاشى وفادة

المهاجرين من أصحابه مبينا علاقة اتيوبيا بالعالم الاسلامى عموما وبالبلاد المجاورة خصوصا . لكنى لم أقصد من هذا التوضيح الى تفصيلها ، فالتفصيل يحتاج الى اطناب فى الكلام واسهاب فى الحديث وهذا ما لا يتسع له هذا السفر الصغير .

وقد جعلت رائدى الدقة وغاية الاخلاص فى هذا الميدان الذى لا يزال بكرا لم يتناوله قلم عربى بلسان المواطنين الاتيوبيين .

ليس هذا الكتاب اذا مرجعا من مراجع التاريخ ولا شىء فيه من تقويم بلاد اتيوبيا . وانما هو بيان وتوضيح وقفات وقفها جلالة امبراطورها العظيم (هيل سلاسى الأول) استوحى فيها شجاعته النادرة واخلاصه المنقطع النظير .

فى هذه المواقف تجردت نفسى وسمت روحى واندفعت الى تدوين هذا الكتاب مستعينا بالله على أداء حق رأيت لزاما على نفسى اداؤه ، وبخاصة فى هذا الوقت الذى اتصل فيه العالم بعضه ببعض اتصالا وثيقا .

فان مبتكرات العلم الحديث جعلت العزلة الدولية فى هذا العصر أمرا مستحيلا ، أو هو شبه مستحيل ، فهذا هو (الراديو) قد جعلك تسمع — فى بضع ثوان — أقصى متكلم فى أقصى المعمورة ... بل هذا هو التليفزيون معجزة من معجزات العلم فى الوقت الحاضر ، يريك على سحق الدار وشط المزار ، وتباين الأقطار ، الانسان المتكلم فى المذياع ، بشخصه وذاته ، وقسماته وحركاته . فلم يبق اذن الا اللمس ، ولعل ذلك قريب ..

وما دامت العزلة الدولية أمرا مستحيلا أو شبه مستحيل ، فان الالتئام يجب أن يصاحبه ، بل أن يسبقه ، التعارف التام ، تعرف كل دولة أختها ، وكل أمة غيرها .

وكان من مظاهر العصر الحاضر فعلا أن عنيت كل حكومة ببذل المجهود اثر المجهود ، فى سبيل التعريف بنفسها ، والكشف عن مفاتن طبيعتها ، ومحاسن مجتمعها .

فطبعت تلك الحكومات الكراسات ، والكتب والنشرات ، بمختلف اللغات . وزينتها بصور معالمها ، وما أفاءت الطبيعة على بلادها مـــن مناظر باهرات ، ومواطن فاتنات ، وأجواء ساحرات .

ثم مبلغ ما وصل اليه شعبها من درجات الحضارة ومستوى العمران وما يتحلى به من التهذيب ، وكرم السجايا ، وحسن المعاشرة ، وخدمة الضيف .

وكذلك الابانة عن وسائل الراحة والأمن والطمان ، فى كل محلة ومكان .

ولعل هذا الكتاب الذى دفعنى اخلاصى المحض لبلادى ومليكى أن أشغل به بعض صفحات قليلة من كتاب التاريخ الخالد ، يكون نواة صالحة ، فمورقة ، فمثمرة ثمرة جنية ، للتعريف بوطنى الحبيب فى عصر عاهله الجليل الامبراطور هيل سلاسى الأول ..

ولأنى حينما قفيت آثار جلالة الامبراطور فى خطواته التعميرية ، والاصلاحية فى جميع مراحله ورحلاته ، منذ ما مسحت يده على البلاد وباركتها انما قصدت الى شىء واحد .. هو انتجاع مساقط الغيث ، حيث تكون الخضرة والينوع ، والانشاء والتأسيس وتعمير الربوع .

وأنا بهذا انما أصور ملامح بلادنا أدق تصوير ، ليعرفها من لم يكن له بها من قبل معرفة ، وليصحح عنها معلوماته من لا عهد له بها .

فاذا لقى كتابى هذا قبولا ، فذلك حسبى شرفا ، وحسبى ثوابا .

والله ولى التوفيق .

الفصل الأول

تاريخ يتـــكلم

(العمل هو دليل الخلود
والأثر دليـــل البقـــاء)

ان الانسان لا يخلد الا بعمله . ولا يبقى الا بأثره . فالعمل هـــو الذى يخلد الذكرى ويشهدبالعظمة . والأثر هو الذى يدل علىماللانسان من فضل . وهو الذى يملى على التاريخ أن يسجل فى صفحات خلوده هؤلاء الأشخاص الذين أشعروا الناس بوجودهم وشاركوا الأجيال فى حياتهم وبقائهم .

وحديثى اليك أيها القارىء الكريم فى هذا الموجز كما قلت فى المقدمة انما هو عن فرد اصطنعه القدر على عينه ليكون أمل أمة ، ورائد جيل ، وباعث نهضة ، وانسان حقق ذاتية شعب اصطلحت عليه الخطوب ، فأقاله من عثرته ، وانتشله من وهدته ذلك هو

حضرة صاحب الجلالة الإمبراطور هيل سلاسى الأول

مولده ونشأته :

ان المتحدث عن ميلاد جلالته انما يتحدث عن بعثة أمة ونشأة دولة دفعهـــا بكلتا يديه الى مضمار الحضارة فى عالم الرقى .. فقـــد ولد جلالته فى ١٦ حملى سنة ١٨٨٤ الموافق ٢٣ يولية سنة ١٨٩١ فى بلدة تسمى « أجرساجرو » من مقاطعة هرر من أب هو الرأس مكنن ومن أم هى ويزرو « يشى أم بيت » وهما من أعرق البيوتات الاتيوبية فى المجد

والسؤدد . فلا غرو أن تعهداه منذ نشأته ووجهاه وجهة صالحة هى وجهة الخير والعقل والمنطق والفكر فكان غرسا طيبا ونبتا صالحا — وتدل صفاته باجتماعها وتسابقها على حقيقة عظمى . هى أن جميع خصائصه النفسية مرهفة متيقظة . وكأن الله قيضه لانتشال أمة . وهيأه لحمل مشعل الدولة . فشب على الرجولة المكتملة من صغره — ونشأ على الجرأة والصراحة بفطرته فحمل أمته فى سفينة الرقى والسعادة حتى رست على مرساها بسلام .

وان اتيوبيا لتذكر فى عمرها المديد أياما ثلاثة سطرها التاريخ فى سجل الخلود . تلك الأيام التى رسمت أثرا فى كل قلب وتركت وقعا فى كل نفس .

فان كان من بين الأيام أيام تفخر على الدهر وتتيه على الزمن لما لها من أثر خالد فى النفوس الانسانية وتاريخ البشرية فلتفخر هذه الأيام الثلاثة على الزمن ، ولتته دلالا على الدهر ، فانها أيام لا كالأيام ، ولكنها تحول وانتقال لتاريخ أمة تنفست فيها الصعداء وتبوأت مكانتها المرموقة وتحققت فيها غايتها المنشودة ووجدت فيها ضالتها المفقودة — تلك الأيام الثلاثة تتعلق بشخص ملك القلوب وتربع على عرش النفوس .

يوم ميلاده

يوم ارتقائه العرش

يوم عودته بعد غيبته القصيرة

وأرانى مضطرا بدافع الوفاء الى الكلام عن هذه الأيام الثلاثة التى أحيت أمة وبعثت دولة ، فأسمح لقلمى أن ينساب حتى يعرض لمحبى الاستطلاع تلك الصفحة البيضاء الناصعة التى خلدها الدهر وحققها الزمن فى أيام ثلاثة :

١ ـ يوم الميلاد : هو ذلك اليوم الذى تألق فيه نجم جلالته المشرق فى سماء اتيوبيا الصافية . ولم يكن يدور بخلد الأمة الاتيوبية اذ ذاك أن عظيما قد ظهر ومصلحا قد برز وقائدا بعثته الأقدار فى هذا اليوم ليحمل عبء دولة ويسطر تاريخ أمة . ويغرس الخير فى قلوب متعطشة . والايمان فى نفوس متوثبة . واليقين فى أفئدة متوجسة . والطمأنينة لأعناق مشرئبة الى مصلح يقود الناس الى الخير . وقائد يسعى بهم الى المجد . ومنقذ يقذف بهم بين أمواج الأمل المتلاطمة حتى يخرج بهم وقد هداهم من ظلام الى نور ، ومن جهل الى معرفة ومن حياة يسودها الاضطراب الى حياة مفعمة بالأمل الوثاب مملوءة بالجهاد والنضال ، تستعذب كل صعب وتقتحم السهل والوعر فى سبيل تحقيق المبدأ الحق الذى تنشده ، والأمل العظيم التى تطلبه .

٢ ـ يوم ارتقائه العرش : ان الحديث عن يوم ارتقاء جلالته العرش انما هو حديث عن صيحة الحق ، ووثبة الخير ، فهاهو ذا الأمل دانى القطوف ، قريب المنال . فقد حمل القوس باريها ، وتربع على عرش اتيوبيا منقذها وحاميها ، ومصلحها وهاديها . فلم تفتنه مظاهر الملك ، أو تشغله أبهة الحكم عن تلك الأمانة التى حملها ، وهذه الرسالة التى كلف نفسه بنشرها وتبليغها . بل أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة . ومحا الجهالة ، وأزال الفوارق ، وخلق جيلا جديدا يؤمن بوطنه ، ويشعر بقيمة نفسه . فلا غرو أن كان لهذا اليوم قصة فى النفس وحديث فى القلب .

٣ ـ يوم عودته : هو ذلك اليوم المشهود الذى عاد فيه جلالته الى وطنه المحبوب بعد غياب قصير خارج بلاده لا من أجل ذنب فعله ، أو اثم ارتكبه ، وانما هى عقيدة ثابتة جاهد من أجلها ووطنية صادقة دافع فى سبيلها .

خفقت القلوب بعودته ، واطمأنت النفوس لمقدمه ، فهو العزيز عليها المحبب لديها . فقد آمن بحبها ، واستعذب النأى فى سـبيلها . عاد الى وطنه الحبيب حاملا لواء النصر متوجا بتاج الكرامة مـرتديا رداء الاجلال والتكريم . وبعودته الحبيبة عادت المياه الى مجاريهـا وردت قداسة اتيوبيا الخالدة اليها فى أبرز معانيها ، فهو من أبر أبنائها ، وأخلص رجالها ، يحمل لها فى قلبه كل عطف وتقدير مما جعله يستهين بالحياة من أجلها ، وفى سبيل الظفر بالغاية التى يريد بلوغها ، الا وهى رفعة بلاده ، ومجد وطنه ، وارتقاء أمته ، ورفاهية شعبه ، وسعادة دولته وحقا ما يقول التاريخ . ان الفوز والظفر والنجـاح والنصر انما هـو لصاحب العقيدة والايمان الراسخ والمبدأ الثابت .

أو ليس من الوفاء للشعب الاتيوبى أن يذكر هـذه الأيام الثلاثة ويخصها بالتعظيم والتقدير ويظهر فيها شعوره بالولاء والاخلاص لمليكه، لأنه وجد فيه ملاذه وحماه ، وفى صاحبها أمله ومبتغاه . فقد تمكن فى ظل ولايته وقبس ارشاداته من شق طريقه نحو الرقى والحضارة مـع مواكب الأحرار .

أنعم الله على هذا الشعب الأمين بمليك منه ، كريم النشأة . عريق الأصل . ميمون الطلعة . سامى المنزلة . نقى الفؤاد . مبارك النفس . يعجزك فيه الوصف ويقصر دونه الحديث . فانك أنى قلبت الطرف فى أى ناحية من نواحى عظمته ، وتاريخ حياته ونشأته ، رأيت فيه ما يملأ النفس بالتعظيم والتبجيل . وينطق اللسان بالثناء والتقدير . ويقر العين ويرهف الأذن بسماع ذكر هذا العاهل الكبير .

هذه الصفات العالية . وهذه الخلال الحميدة . وتلك الشيم الفريدة التى تحلى بها منذ ولادته جعلته يتبوأ عرش القلوب قبل أن يتوج بتاج

الملوك ، فتراه وقد نزل منها أكرم منزلة لا يسعه الا أن يخفض لأمته جناح الرحمة ، ويحوطها بالرعاية والحكمة ، ويتصـدرها اذا ما جـد الخطب ، ويعيش بينها متلمسا السبيل الى صفوفها ليقرأ باطن القلوب . ويعلم حنايا الصدور . فيجيب ويقضى الحاجات . ويفرج الكربات ، ويحقق الأمل . ويصل بكل فرد الى الغاية حتى يخلق من حياته سعادة ورضا . يبغى بذلك اشباع عاطفته النبيلة التى تميل به نحو الخـير ، وتنعطف تجاه الاحسان والبر . فمقاصده سامية . ومشاعره رقيقة . مما جعل كل فرد من أفراد الشعب ، على اختلاف عناصره ، وتباين مذاهبه ، له النصيب الأوفى والقدح المعلى من عنايته ومعونته ، وعطفه ورعايته . ملك يشعر لأمته بما يشعر به رب الأسرة الكافل لبنيه وذويه ، يعمـل دائما على كشف الضر عنه ، ويسعى جاهدا لاعطاء كل ذى حق حقه . حياته يقظة.وتفكيره عمل.وخطواته سعى وجهاد . وماله سهل التناول . كم أعطى بائسا ، وانتشل فقيرا . وساعد مسكينا . فالمعدوم قد استغنى والمحروم قد وجد . والمظلوم ناله العدل وأخذ حقه بالقسط .

لقد وضع تاريخ اتيوبيا الحديث بين يدى جلالته مقاليد وطن يتفيأ الزمن من ظلاله ، ويستضىء الدهر بضيائه . فحمل المشعل وجعل أمته دولة متحضرة تهتدى بما اهتدت به الشعوب العظيمة فى جميع مرافق الحياة التى تعود على الوطن بالنفع العميم والخير الجزيل فارتفع صوت الوطن عاليا وسار جنبا الى جنب مع العالم المتحضر فى موكب الحياة .

حالة أتيوبيا السياسية والاجتماعية قبل عهد جلالته

ان نظرة واحدة الى البلاد قبل ارتقاء جلالته عرشـها لترينا كيف كانت الحاجة ماسة الى وجود منقذ ومصلح حنكته التجارب وصـقله الاختبار فما أحوجها الى توحيد شامل واستقرار ثابت . وأمان واطمئنان

ووضع صحيح . وحكم عادل . وكأن الله قد استجاب دعاء القلوب الحارة ، وهتاف الألسنة المدوية . فوهبها ذلك الرجل المجرب الشجاع المحنك الذى زادته التجارب ، ايمانا بالفوز بمستقبل الأيام . فتمكن بما حباه الله من أفق واسع وادراك سام أن يسدى النفع لبلده ، والخير لوطنه فكان بذلك من القادة المحنكين . والعباقرة الممتازين الذين أخلصوا لشعوبهم وللتاريخ . فلم يكن فى حاجة الى يد تؤازره ، أو قوة تسنده وتؤيده ، معتمدا على قوة الحق ، وثقة الشعب ، فجاد بكل ما يملك ، ووهب حياته ونفسه لوطنه الكريم ، وشعبه العظيم . فنال بذلك عرشا هو له أهل . اذ لم يهتف الا له ، ولم يصل الى غايته الا به . ولم يتجه الا اليه . ولم يعمره فى عصر من عصور التاريخ الاتيوبى ملك سواه فقد استخلصه لنفسه واختاره لشخصه .

لقد أقسمت له الأمة منذ البداية يمين الولاء والوفاء ، وقسم التقدير والثناء ، واتجهت نحوه بشعورها واحساسها وقلبها ووجدانها بمقدار ما اتجه اليها ، وتوجه نحوها بمبادئه وغطفه وايمانه وحبه ، مما جعلها تشعر بالعجز عن رد جميله ووفاء دينه . فعطفه بالغ ، وعدله شامل ، وحنانه عظيم . التفت حول عرشه المفدى أمة أقرت بالفضل ، واعترفت بالجميل ذلك الالتفاف الذى لم يظفر به زعيم أو قائد فى تاريخ اتيوبيا فى عصورها المختلفة ومراحلها المتعددة . وحسبك أن ذلك الالتفاف وهذا التأييد فى وقت كانت سفن السياسة فيه تصطدم بالأمواج وتتعرض للاعاصير . لكن قيادة جلالته الحكيمة التى صقلتها الحوادث وعززتها التجارب وصلت بالبلاد الى شاطىء السلام ، رافعة علم الحرية والأمان فخط لنفسه فى سجل التاريخ صفحات تشهد له بالفضل وتقر بالعظمة فى سجل الخلود فأصبح اسمه مدويا فى مسمع الجوزاء ، وتنفست الأمة فى حكمه الصعداء ، وشكر الناس خالق الأرض والسماء .



الأب العظيم ، والأصل الكريم « الرأس مكنن » والد جلالة الامبراطور



جلالة الامبراطور (هيل سلاسى الأول) فى فجر الحياة

ولقد ينشئكم رجالا مثله   والشبل تقبل ساعديه القسور

هذه لمحة سريعة ، ونظرة خاطفة ، وغيض من فيض — أعرضها على القارىء الكريم عن حياة هيل سلاسى الأول منذ نشأته الأولى . وسأتحدث فى الفصول الآتية ان شاء الله عن الأعمال الخطيرة والخدمات الجليلة،والارشادات القيمة، والتوجيهات السامية التى قدمها جلالته لوطنه مستندا على الوقائع التاريخية الهامة حتى يلمس الناظر فى هذه العجالة الخاطفة حقيقة واضحة عن اتيوبيا الحديثة فى عهد عاهلها العظيم الذى أنشأها نشأة مباركة،وأنهضها نهضة قوية،وبعث تلك القوة الكامنة فيها فاستغل خصب أرضها ، ونمى مواردها ، وأصلح الحياة الاقتصادية والاجتماعية والادارية فيها . مما طبع عصره الذهبى بطابع خاص جعل عهده يعد مرحلة حاسمة فى تاريخ اتيوبيا الحديث .

فكانت طفرة من أوسع الطفرات . كأنها احدى المعجزات ..



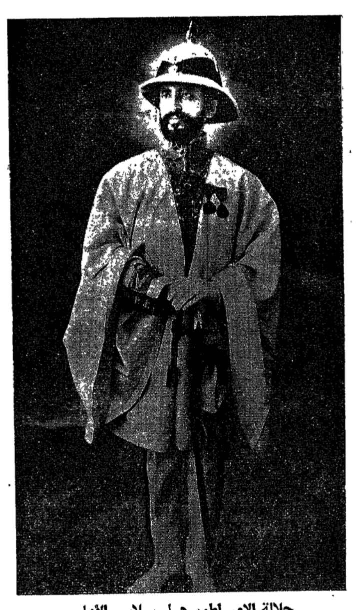
صاحب الجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول
فى مستهل عمره السعيد

الفصل الثاني

في بيان المراحل التي مر بها جلالته

مع ذكر نبذة قصيرة عن حياة والده العظيم الرأس مكنن

ان الحديث عن المراحل التجريبية الخطيرة التى مرت بجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول لترينا كيف فتحت أمامه تلك الآفاق الواسعة، وهذه المدارك العالية . وهذا المستقبل الزاهر الذى ادخره له الزمن فى مكنون القضاء . ولكى تعلم أيها القارىء الكريم تلك البيئة التى نشأ فيها هذا العاهل العظيم وذلك الأصل الذى انحدر منه مليكنا المحبوب أذكر لك نبذة قصيرة عن والده العظيم « الرأس مكنن » فقد كان حاكما لتلك المقاطعة التى أشرقت فيها شمس جلالته (مقاطعة هرر) انتشر فيها عدله ، وظهر للناس كرمه وفضله ، وليس بغريب على تلك الذات الكريمة ، والشخصية العظيمة أن يتمثل فيها كل معانى الاجلال والتكريم . فقد كانت حياته صفحة خالدة مليئة بالأعمال النافعة والأفكار المجدية . ومشعلا للضياء . ولا غرو فهو ابن عمة جلالة الامبراطور منيلك الثانى ومصدر ثقته . تقلد منصب القيادة لجيش اتيوبيا العام فى المعارك التاريخية الفاصلة التى وقعت بين ايطاليا واتيوبيا عام ١٨٩٦ والتى انتهت بانتصار الاتيوبيين فى عدوه على يد ذلك القائد المظفر منيلك الذى حنكته التجارب وصقلته الحوادث ، مما جعل ألسنة المؤرخين وأقلام المسجلين تسطر له صحيفة الفخر بمداد من المجد ، فهاهو ذا صادق باشا المؤيد مندوب السلطان عبد الحميد لدى منيلك الثانى يصف ذلك البطل المغوار الرأس مكنن فى كتابه « رحلة الحبشة » صفحة ٢٣٤ نقتطف منه ما يأتى :



جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول

تأمل ... وتطلع الى الأفق البعيد

« وصلنا الى منزل الرأس مكنن فى أديس ابابا فاستقبلتنا من الخارج كوكبة من الجنود . واستقبلنا الرأس بكل اكرام واحترام وأخذ يشرح

لنا سروره من مقابلته لنا اليوم . وانه حضر البارحة فى محل نزولنا ولكنه لم يجدنا » .

ثم قال : « وهذا الرأس على جانب كبير من اللطف والايناس . والتواضع والورع . شغف باكرام الضيوف » ثم قال :

« وهذا الرأس قريب الامبراطور « منيلك الثانى » وهو رجل مشهور بالذكاء . والجرأة . والاقدام . والشجاعة . وكلمته نافذة أكثر من كل الرءوس ولذلك هو مرشح لأن يكون امبراطورا فى المستقبل .:.... ؟ وهو رجل متوسط القامة . نحيف الجسم . وقور . فاتح اللون . طويل الوجه . يلقى الرهبة والاحترام بقلب الناظر الى سيماه . والرأس مكنن غنى جدا ويميل لنشر العلوم والمعارف بين النـاس . وقد اشتهر بأنه سياسى محنك عظيم . كما أنه جندى مقدام » .

وقال المؤيد باشا أيضا :

« وقد استجلب حُب الأحباش واحترامهم له بما جبل عليه من الشجاعة والورع والتقوى . كثيرا ما سمعت من جميع المسلمين الأحباش الذين رأيتهم . وقابلتهم الثناء عليه .. !

« وقد بلغني أن بعض رعاع اليونانيين فى هرر كانوا فى أثناء الحرب اليونانية العثمانية يؤذون المسلمين . ويحتقرونهم . والمسلمون يتحملون ذلك بكل مضض وصبر . ولما حقت الكلمة على اليونانيين وانهزموا أمام الجنود المظفرة العثمانية . قام المسلمون يزينون منـازلهم ودكاكينهم (حوانيتهم) . ويدعون للحضرة السلطانية بمزيد النصر . فلمـا رأى اليونانيون ذلك . ذهبوا لعند الرأس مكنن (ذهبوا الى الرأس مكنن) فشكوا أمرهم له . وقالوا إنما المسلمون يقصدون بذلك احتقارنا والحط بكرامتنا أمام الناس .



الامبراطور العظيم ((منيلك الثانى))



الامبراطورة ((طهايتو))
قرينة الامبراطور ((منيلك الثانى))

« فأجابهم الرأس . عندما كنتم تعتدون عليهم . وتحتقرونهم ما كان أحد من المسلمين يوفع صوته . ولا بكلمة واحدة . ولما قاموا الآن يظهرون سرورهم بحق من غير أن يعتدوا عليكم أخذتم بالشكوى منهم . انكم لقوم معتدون ... »

ثم قال صادق باشا المؤيد :

« والرأس مكنن متصف بالأخلاق الفاضلة الطيبة ولا يأكل ولا يشرب الا بالاعتدال . وكان يحب زوجته المتوفاة حبا عظيما جدا (يعنى بها والدة الامبراطور هيل سلاسى الأول) حتى انها لما توفيت عقد النية على ألا يتزوج من بعدها بأخرى . ولما كلفته الامبراطورة « طاهيتو » أن يتزوج احدى بنات ابن اخيها رأس ولى . تمنع مدة ولكن لشدة اصرار الامبراطورة اضطر الى تزوجها . وأتى بها الى هرر فمكث معها سنة كأنه أب لها . وكأنها ابنة له . وفى ختام السنة أخذها معه الى العاصمة محتجا انه لا يصلح للزواج . وعلمت أن الامبراطورة اغتاظت منه لذلك جدا . وعمره لا يتجاوز خمسين . وكان ذهب الى ايطاليا سنة ١٨٨٩ ليوقع على عهدة (معاهدة) (أوقسبللى) من قبل الامبراطور فزار هناك محلات كثيرة . وأكثر مانبه أنظاره الأمور العسكرية . والترتيبات والتعليمات الحربية . ويوجد تحت حكم الرأس فى مقاطعة هرر من الصوماليين الغاليين (الجاله) وقد حارب بهم جنود توسللى الطليانى وهزمهم شر هزيمة فى واقعة (امبا الاجبى) وأظهر من الشجاعة .. » الخ

هذا هو الرأس مكنن الذى غربت شمس حياته فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٦ بشهادة المؤرخين وعلى رأسهم صادق المؤيد باشا الذى حضر الى اتيوبيا بحمل رسالة المحبة والسلام من قبل الباب العالى باسطنبول .

ولعل هذه العجالة الخاطفة والكلمة القصيرة الموجزة عن والد جلالته لترينا أن هذا الشبل من ذاك الأسد وانه لمجد عظيم يتوارث. وعز ورفعة يتلقاها ذلك النسل الطيب. فيحق للفلك أن يدور دورته، وللزمن أن يحرك عجلته، حتى يسوق القدر ويملى على القضاء باختيار تفرى « هيل سلاسى الأول » نجل الرأس مكنن الوحيد وليا لعهد الامبراطورية الاتيوبية. ثم امبراطورا لها. فهو ابن بجدتها ساقه القدر ليحمل أمانة كبرى، ويقود دولة عريقة تتوق الى مصلح وتشتاق الى منقذ. ومن ذا الذى ينكر فضل هيل سلاسى الأول وهو الذى ينحدر من هذه الأسرة العظيمة التى لها صفحات مجيدة فى تاريخ البلاد. والحق ان اتيوبيا حينما ترعرع تفرى « هيل سلاسى الأول » فيها كانت تمر بمراحل قاسية وتنتقل فترات متعددة من تضحية وبذل الى كفاح وجهاد وكأنها تهيىء نفسها لتواجه ذلك المستقبل البسام الذى ينتظرها. فهى واثقة من نفسها فى الوصول الى تلك الغاية التى رسمها الأمل الدافع الى الجهاد وحققها لها الواقع على مسرح الحياة فاذا هى تبلغ فى عهده تلك الغاية المرموقة من النضج السياسى، والتطور الفكرى، ما بوآها تلك المكانة السامية بين الأمم المتحضرة. وهذه الدرجة الرفيعة بين الدول المتقدمة.

مراحل حياته : شرب جلالته من منهل العلم ما جعله موردا ينهل منه الصادون، وبحرا يغترف من مائه الظامئون، حيث تلقى العلم فى تلك المدينة الحديثة « أديس أبابا » وقد حباه الله بالمواهب، وخصه بنمو الادراك وحضور البديهة، وحدة الذكاء مما أهله لأن يعين حاكما لأول مرة لمقاطعية « جاراموللتا » بعد أن لقب بلقب « دجزماج تفرى » وبعد أن أمضى فيها عاما ونصف عام أظهر فيها من المهارة السياسية

ما جعله جديرا لأن ينقل حاكما لمقاطعة « سلالى » ومضى الزمن به عامان وهو يدير دفة الحكم لهذهالمقاطعة العظيمة بمايدل على أنه رجل موهوب فلا عجب أن ينقل الى مقاطعة « باسون » التى لم يمض فيها أكثر من عام حتى عين حاكما عاما فى مقاطعة « سيدامو » فحظيت بسمو توجيهه ، وعظيم ارشاده ، وشمول عدله ، نحو عامين حتى نقـل فى سنة ١٩٠٢ اتيوبى حاكما عاما الى تلك المقاطعة التى نادت وليدها أن تول حكمى . تلك هى مقاطعة « هرر » مسقط رأسه . ومنبت غرسه . ومقر ولاية والده .

فترات متنقلة . ولايات متعددة . وتجارب متفاوتة . وحياة مليئة بالمعرفة يحظى بها ذلك العاهل العظيم . فيظهر فى كل فترة سماحة وكياسة وفى كل تجربة دقة وبراعة.وفى كل ولايةمهارة وعدالة.تجاوبتأصداؤهافى جميع أنحاء البلاد . وناهيك باستقبال أهالى تلك المقاطعات التى تشرفت بحكمه . وحظيت بعدله . فألسنة المسلمين داعية ، وقلوب المسيحيين مؤمنة ، وأفئدة الجميع مفعمة بالبشر والسرور . مملوءة بالفرح والحبور يفوح شذا حبهم فيعطر أنحاء البلاد ويظهر مـدى سرورهم بافسـاح صدورهم وعظيم ترحابهـم . لشخص مارسوه وعـرفوه . واختبروه وجربوه . فكان له من صدق العزيمة . وقوة الايمان بالاصـلاحات الشاملة . وتوزيع العدالة الكاملة حتى نالت كل فرد وعمت كل شخص . ما جعلهم يذكرونه بالثناء والتقدير ويطمئنون على مستقبلهم العظيم .

فما أعظمه من امبراطور يتردد اسمه على كل لسان . ويغزو شخصه كل قلب . يسكن حبه كل فؤاد . فهذه الألسنة تلهج بذكره فى كل مناسبة من المناسبات الوطنية التى يذكر فيها الرجال . ويعترف فيها بمهـارة الأبطال فى القرى والحضر .

أطفال صغار . وشيوخ كبـار . وشباب قوى . وشعب فتى يؤمن بفضله . ويقر بعدله . ويذكره يوم أن كان ناشئا . فظهر بطلا عظيما خاض معترك الحيـاة . بعد أن ظل هذا الشعب سنوات طوال يشرئب عنقه وكاد ينفد صبره وهو ينتظر زعيما مخلصا . وقائدا ماهرا ، وسياسيا محنكا . يأخذ بيده نحو الرقى . ويقذف به فى يم الحضارة . ويسير به فى سفينة المجد الى شاطىء العز والسؤدد . فاذا به الأمل المنتظر . والنصر المرتقب .

أو ليس من الوفاء أن يقدم الشعب له كل يوم دليلا جديدا على حبه وولائه واخلاصه ، فالتوفيق رائده . والنجاح حليفه . فأنعم بهذا القدر الذى شرف الملك به . وذلك القضاء الذى ولاه عرش هذا البلد الأمين . فتاجه من أعرق التيجان . وعرشه من أسمى العروش التى تهيمن على مصائر شعوبها فى العالم .

هذا أيها القارىء الكريم . بعض صفات جلالته منذ فجر حياته . مستمدا تأييده من الله الذى وهبه الحكمة والسداد . فكان حريا بأن يتحمل تراثا أزليا سلمته له اتيوبيا . ذلك هو زمام قيادتها . وحراسـة حريتها . واستقلالها . فلا يسعها أمام هذا الفضل الا أن ترفع اليه صوت الحب والولاء والاخلاص والوفاء .،

الفصل الثالث

اختيار دجزماج تفرى ولياً لعهد الإمبراطورية الأتيوبية

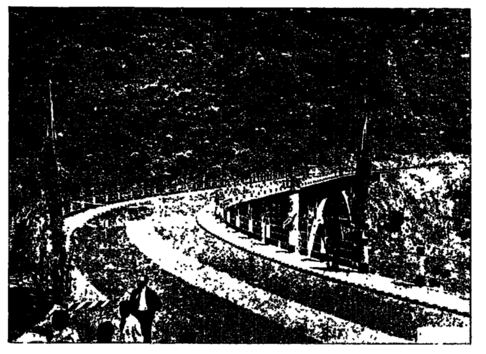
مع منحه السلطة التامة فى ادارة شئون الدولة

كان لتلك الأدوار الهامة التى مرت بالامبراطور العظيم حينما انتقل من مقاطعة لأخرى بين حاكم ادارى ، ومحنك سياسى ، ومصلح عبقرى ، أكبر الأثر فى تعرف الشعب على تلك القوة الكامنة فى نفس ذلك الرجل العظيم من الكفاية والمهارة والمقدرة والشجاعة . ولعل هـذه الفترة الخطيرة . وتلك المرحلة الجريئة قد هيأها الله له ليهيئه ويعده ويلفت نظر الشعب الاتيوبى اليه ويجعله قبلتهم ، فالكل ينظر اليه نظرة الأمل الذى ينشده والغاية التى يتمنى تحقيقها .

فى هذه الفترة التاريخية ١٧ مكرم سنة ١٩٠٩ (١٩١٦) ميلادى . ظهر للامة ذلك كله واضحا جليا مما جعل قادتها وزعماءها ورجال الأديان الكنيسيين فيها يجمعون رأيهم ويوحدون كلمتهم على أن يكون (دجزماج تفرى) وليا لعهد الامبراطورية الاتيوبية بلقب الرأس تفرى .

وكان تقديرا عظيما حينما قر قرارهـم على أن يمنحوه السـلطة الكاملة فى ادارة شئون البلاد . فما أعظم أثر هذا الحدث التاريخى . وذلك الاختيار الموفق . وهذا الاجماع السعيد فى نفس الشعب الاتيوبى الذى أحسن الاختيار بما أوتى من تقدم فى الوعى ، وسداد فى الرأى ، وصواب فى الفكر . فأنه شعب أبى وفى لم يرض الذل والضيم . وأظهر لمليكه اخلاصه ووفاءه وحسن تقديره وتوجيهه تلك الوجهة التى

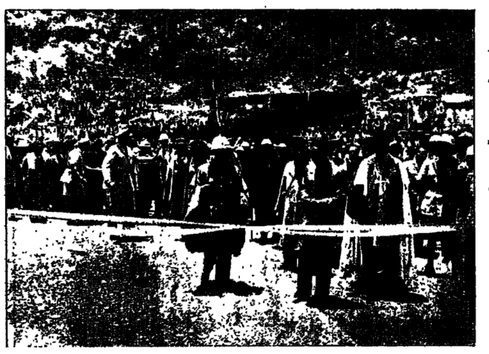
توجهها بوحى من ضميره والهام من ارادته . وحافز من نفسه فى اختيار جلالته وليا لعهد مملكته . فما أعظمه من شعب وفى يقدر المرء ويعرف الجميل . فأن مليكهم وعظيم دولتهم هو الذى عرفته الأمة ومارسته واختبرته فأعجبت به . عرفت مواهبه وسياسته ، واتزانه وحكمته ، وحبه واخلاصه . وجهاده ودفاعه عن وطنه منذ فجر حياته .



بنى هذا الجسر فى عهد جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول على نهر اباى (النيل)

أتظن أيها القارىء الكريم أن الرأس تفرى قد أغراه الاجماع . أو أنساه الاختيار واجبه نحو أمته . وعرفان مسئوليته . ومقدار خطر تلك الأمانة التى حملها ، وأثر هذه الرسالة التى أخذ على نفسه تبليغها ، وهذه الدعوة التى نصب نفسه لحمايتها ، وهذه الأمة التى وهب حياته من أجلها — لا — بل قبل الرأس تفرى ولاية العهد وهو يعلم خطرها

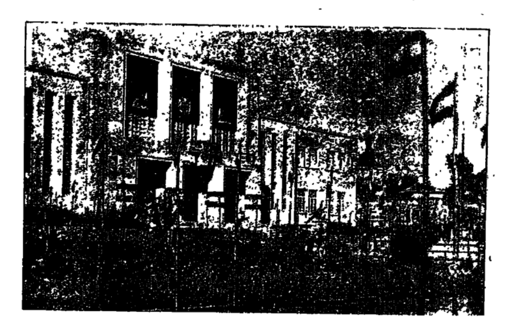
ويقدر مسئوليتها ويعرف عظيم التبعة الملقاة على عاتقه ، وأثر الرسالة الموكول تبليغها الى شخصه . يعرف أن وراءه تاريخا مسجلا وأمامه ضميرا مؤنبا وأمة متوثبة الى المجد تواقة الى الرفعة . لذلك كان ماثلا أمام شخصه عندما قبل ولاية العهد هذه المسئوليات الجسام . فلم يقبلها حبا فى الرياسة ولا اشتهاء الى الزعامة ، ولكنه قبلها حبا فى وطنه وتقديرا لاجماع أمته . ونزولا على ارادة أبناء وطنه . وتمكينا لنفسه من خدمة أهله ومواطنيه . وحقا ان البطل لا يثنيه عن غايته مظاهر الحكم ولا حب الرياسة ولا أبهة الملك اذ أنه يدفع حياته ثمنا لأمته .



جلالة الامبراطور وهو يقطع الشريط
فى افتتاح الكبرى الجديد عند نهر اباى (النيل)

جميلا حقا أن تتمسك الأمة بأهدابه ، وتجمع على اختيار حكمه . وأجمل منه أن تعلم أن اجماع الأمة حوله كان بوازع من أنفسهم . وحافز

من جليل أعماله . فلم تكن وراثة العرش هى التى جمعت الأمة حوله . ولكن الباقة النادرة . باقة الاخلاص والسماحة . والحكمة والعدالة . والدقة والمهارة التى ظهر بها فى يافع شبابه ومستهل حيـاته هى التى دفعت الأمة بأثرها الى تأييده ومؤازرته . ومعونته ومناصرته . وتسهيل أمره فى تأدية رسالته . فقد كان شبابه يانعا ظهرت عليه علامات المجـد منذ صغره ودلائل العظمة فى أول نشأته . فلكم توقع العـارفون له العظمة . وانتظر المطلعون عليه المجد والرفعة . وتفرس فيه المـاهرون الشجاعة والاقدام . وترقبوا له مستقبلا زاهرا . فها هــو ذا والده العظيم « الرأس مكنن » يقول وهو جالس ذات يوم مع قواده ورجال حاشيته بعد أن أبصر ذلك الشبل عن بعد مقبلا عليه آتيا نحوه (سوف يكون هذا الطفل رجلا عظيما ...... ومن يدرى ؟ فربما أصبح أعظم من أبيه ......)



البرلمان الاثيوبى باديس ابابا

يا لله لهذا المولود ! فقد صحت فيه فراسة أبيه وتحقق له ارتقاب والده وتكهن العارفين .

وهكذا . كل عظيم تبدو عليه سيما العظمة منذ نعومة أظفاره . أنظر اليه وقد خرج ذات مرة للتنزه مع بعض أصدقائه وكان عددهم ثلاثة عشر شابا يجيدون السباحة التى لا يجيدها تفرى . فهاهم أولاء يستقلون زورقا فى بحيرة « أرمايا » الواقعة بين هرر ودرداوا فاذا بالزورق ينقلب بهم فجأة ثم يغوص فى البحر . فيلجأ كل منهم الى حيلة تنقذه أو محاولة تسعفه فلم تنفعهم المحاولات ولم تسعفهم الحيل التى بذلوها للنجاة . فغرقوا . وعجيب حقا أن ينجو تفرى ذلك الذى لم يعرف السباحة . وكأن الله أنجاه لأنه ادخره لملك عظيم . لذا ترى لسان أبيه يهتف قائلا حينما طرق ذلك الخبر مسمعه :

(قلت ان ولدى سوف يصبح عظيما . وها هى ذى الأقدار تضن عليه بالموت قبل أن يؤدى رسالته) .

فأنعم بذلك القدر . وهذا القضاء الذى حفظ تلك الذات . وهذه الشخصية ليرفع بها أمة . ويبنى بها مجد دولة .

واليك هذه الخدمات التى أداها الى بلاده وهو ولى للعهد .

الفصل الرابع

الخدمات التى أسداها إلى بلاده وهو ولى للعهد

كان ذلك الاجماع الرائع الذى تمسكت به الأمة دافعا عظيما فى قبول امبراطورنا العظيم ولاية العهد . وتحمل ثقل العبء . ودليلا على تقدم الوعى فى أمتنا الحبيبة فان الأمة لا يحسب لها حساب أمام هذا المجتمع البشرى اذا تفرقت جماعتها ، واختلفت كلمتها . وانفضت من حول قائدها . وانصرفت عن مصلحها . فأنه لن تستطيع أسلحتها أن تسجل لها نصرا . أو تحقق لها غاية . لأن السلاح وحده لا يصيب الهدف . ولا يبلغ المرمى . ولا يحقق الأمل . ولا يبلغ المأرب . الا اذا كان فى يد متحدة فى اتجاهها وأفكارها ، وأمة صدقت نيتها وسلم فكرها . فأسلمت أمرها وقيادتها لمصلحها . واسترخصت البذل والتضحية وجاهدت عن عقيدة وايمان .

فتح المجال أمام الرأس تفرى واتسع له الأفق . فسلك السبيل نحو اصلاح بلاده وتحقيق غايته فى رفعة وطنه وسعادة أمته . فعمل ماوسعه الجهد فى حدود السلطة الدستورية المخولة له . فأدار دفة السياسة فأحسن القيادة . ووجه بلاده وجهة صالحة فى الداخل والخارج . وقام بأعمال نافعة ظهرت فى عهده بثوبها القشيب . وبرزت على لون زاه فى جو من الطمأنينة والاستقرار .

الاصلاحات الداخلية : اتجه الرأس تفرى ووجه عنايته وخصص جزءا كبيرا من وقته الثمين لناحية الاصلاحات الداخلية . ووضع قواعد

التأسيس والعمران ليكون النفع عاما . والفائدة شاملة . ولتظهر بلاده أمام العالم بالمظهر اللائق الذى يبوئها مكانتها بين الدول . ويرفع شأنها أمام الأمم . ويجعلها لا تتخلف عن ركب المدنية وقافلة الحضارة .

وهاك بعضها :

فى سنة ١٩١٤ أنشأ مطبعة تسمى « برهاننا سلام » على حسابه الخاص . وخصص ايرادها لمستشفى بيت سعيدة . وهى التى سميت فيما بعد مستشفى (هيل سلاسى الأول) وقد أرسى حجرها الأساسى فى سنة ١٩١٨ ميلادية . أو ليس ذلك عملا نبيلا ومجهودا عظيما يدل على ما فطرت عليه نفسه من حب الاصلاح والتعمير . وايصال النفع لأبناء أمته . وأفراد دولته . حيث حرص على نشر الثقافة فيهم فهيأ لهم السبيل ، ومهد لهم الطريق بهذا العمل الجليل ، وانشاء تلك المطبعة العظيمة .



مستشفى الأميرة « طهاى » باديس ابيا

وناهيك أنه فى سنة ١٩١٨ ميلادية أسس الرأس تفرى أول مدرسة شعبية سميت باسمه « مدرسة تفرى مكنن » فتحت أبوابها لأبناء الشعب من كل الطبقات مسلمين ومسيحيين لينهلوا من موردها العذب . وحوضها المورود . ويجنوا منها أطيب الثمرات . ويحصلوا على كثير من أنواع المعرفة والعلوم . فحققت ثمرتها المرجوة فى زمن وجيز حيث تخرج فيها كثير من أبناء الأمة الذين يتبوءون الآن مناصب عالية ، ومراكز سامية . ويؤدون لأمتهم خدمات جليلة ، ويقومون نحوها بأعمال مفيدة ترفع من شأنها وتعلى من قدرها .

فما أعظم هذا العمل . وهل هناك أعظم من تربية العقول . وتوسيع المدارك . فان الأمة المتعلمة هى التى تعرف سبيل مجدها فتسلكه ، وطريق عظمتها فتلجه وتدخله . وتسعى جاهدة نحو الرقى . فليس بغريب على اتيوبيا الحديثة وقد تقلد الحكم فيها رجل وهب لها حياته أن تصبح عضوا فى عصبة الأمم فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨ فأصبح اسمها بين الدول عاليا . وشأنها ومركزها فى سائر الأمم محفوظا .

وان من دواعى العظمة وأسباب الخلود ، وآيات الفخار لهذا الرجل العظيم أن يقوم برحلة فى بلاد العالم ليتفقد أحوالها ، ويدرس حياتها ، حتى يعود الى بلاده فيلقنها النافع ، ويجنبها الخطأ ويبعدها عن الضرر ويقذف بها فى بحار الرقى بين أمواج المجد حتى يصل بها الى شاطىء العزة والكرامة والرفعة .

فقد زار مصر وايطاليا واليونان وفرنسا وانجلترا فى سنة ١٩٢٤ ميلادية . وقد قوبل فى جميع هذه الممالك وسائر هذه الدول بحفاوة بالغة واكرام حقيق بشخصه . وتقدير جدير بذاته . كل هذه الأعمال وتلك الخلال كانت أهلا لأن تمنحه الامبراطورة زوديتو محققة رغبة الشعب فى منحه لقب (**ملك تفرى عام ١٩٢٨**) .



مدرسة « تفرى مكنن » التى اسسها جلالته وهو ولى للعهد

وقد شاء الله أن يستأثر عنـــده بالامبراطورة زوديتو فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٠ . ثم ينادى بالرأس تفرى ملكا على اتيوبيا بلقب (نجـــوس نجست هيل سلاسى) ولعلك تذكر فراسة والده الذى ترقب له العظمة فقد تحققت تلك الفراسة وذلك القول الذى نطق به وســجلته لك فى الفصل السابق حينما قال : (سوف يكون هذا الطفل عظيما . ومن يدرى ... ؟ فربما أصبح أعظم من أبيه ..) نعم بل انه أصبح أعظم وأخطر رجل فى تاريخ اتيوبيا الحديثة اليوم . وهذه صفحته الخالدة مليئة بجليل الأعمال ، وكريم الخصال ، وشرف الفضائل ، قدمت اليك جزءا منها لتكون مصباحا يضىء لك طرفا من حياته الخالدة ، وعمره المديد .



التاج الخـــالد يتألق على الرأس الماجـــد
تاج اتيوبيا الرفيع على الجبين العزيز المنيع



دولة مهدت فى كرسيها وحملت التاج من «فوق الجبين»

يا مثالا للعقيلات العلى وكمالا لنساء العالمين

شوقى

الفصل الخامس

فى تتويج جلالة الامبراطور

الأسد الخارج من سبط يهوذا

المختار من الله ملك ملوك أتيوبيا

هيل سلاسى الأول

٢ نوفمبر ١٩٣٠

فى هذا اليوم التاريخى الميمون احتفلت اتيوبيا من أقصاها الى أقصاها بتتويج جلالة الامبراطور العظيم هيل سلاسى الأول امبراطورا عليها . وبتتويجه تحقق ذلك الأمل وهذه الغاية التى سعى اليها الشعب جاهدا فاطمأن بعد لوعة . واستقرت نفسه . وانشرح صدره . وتفتحت أبواب الأمل أمامه . وكان هذا اليوم بحق يوم عيد ، لا فى اتيوبيا وحدها ، بل فى العالم أجمع . فقد احتفلت الأمة بهذه المناسبة السعيدة وشاركها أمراء من بيوت أوربا الحاكمة وغيرها من الدول العظيمة . فها هى ذى بريطانيا وايطاليا والسويد واليابان وفرنسا وأمريكا ومصر وغيرها وغيرها . توفد رجالها وتظهر سرورها بمقدم هذا الرجل العظيم وتتويج هذا العاهل الكبير . فانه رجل ميمون الطلعة ، مبارك النفس ، جرىء ، وثاب ، شجاع ، مقدام ، مصلح ومنقذ . جدير بأن يقود أمة ، ويسير دفة دولة . فأنعم بهذا اليوم عيدا يحق له أن يفخر على الزمن بما حق لبلادنا من عز ونصر ، ومجد وفخر ، باعتلاء عرشها ذلك البطل

المغوار ، العبقرى الممتاز ، الذى يحمل فى طيات نفسه معـانى الحب والرحمة . والعدل والشفقة ، على بلاده وأمته . وتتأصل فيه صـفات الزعامة . ومضاء العزيمة . والثقة بالنفس . نادته أمته فاستجاب النداء . ودعته دولته فأجاب الدعاء . وجرد نفسه ووهب حياته لخدمة وطنه . ورفع مستوى شأنه . وكم كان تواقا الى ذلك اليوم ، لا حبا فى الملك ، ولا حرصا على الحكم ، ولكن رغبة فى تمكين أسس العـدل ، وبث



جانب من القصر الامبراطورى
باديس ابيا

الشجاعة والاقدام فى نفوس المواطنين ، والأخذ بيد الدولة الى مصاف العظمة .

لذلك تجده بعد أن ثبتت له دعائم الملك ، ورست به دفة الحكم ، واستقر نظام الأمن والسلام فى البلاد ، أخذ يباشر سلطته الدستورية تحدوه روح وثابة عالية مليئة بالايمان ، عامرة بالأمل فى الحاضر والمستقبل . أتدرى أول شيء عمله واتجه اليه فكره ؟ انه عمل جليل يدل على شدة حرصه فى مشاركة شعبه ووضع الأمور بين أيديهم مما يحقق ديمقراطيته ، فقد أنشأ البرلمان الذى منح به الأمة فى سنة ١٩٣١ بمحض ارادته ، ووحى فكره ، دستورا كفل لكل فرد حقه ، ووضع لكل مجرم جزاءه ، فكان سببا قويا فى ارساء الطمأنينة وتثبيت دعائم الاستقرار .

فقد كانت اتيوبيا فى مختلف عصورها التى مرت بها خاضعة لنظام الحكم الفردى ، فكان الملك هو الحاكم المطلق يدير شئونها السياسية ، وغيرها ، حسب رغبته ومشيئته ، وتفكيره وارادته ، بلا رقيب ولا حسيب .

أما جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول بما جبل عليه من الكياسة والعدل فلم يرتض لنفسه هذا النوع من الحكم فحقق العدل فى أسمى معانيه ، وأظهره فى أجمل مظاهره ، ولم تفتر له همة ، أو تضعف له عزيمة أو تلن له قناة حتى حقق لبلاده دستورا من أرقى الدساتير يماثل دساتير الدول ، ويتلاءم مع أحسن النظم البرلمانية فى الدول المتحضرة والأمم المتقدمة . وكفاه فخرا أنه يدعو أن يستمد الحاكم قوته من الشعب على أساس ديموقراطى صحيح .

من ذلك التاريخ أصبحت الأمة الاتيوبية بحق عزيزة الجانب ،

مرفوعة الرأس ، قوية الحكم والسلطان ، لا تشكو ألما ، ولا تحس تعبا ، بل تسعى الى الأمام قدما ، يحوطها دستور شامل ، ويرعاها ملك عاذل ، سجل بعمله الجليل فى أول عهده صفحة مشرفة فى تاريخ اتيوبيا الحديثة .
وبه أصبحت الأمة الاتيوبية بعنصريها مشتركة ممثلة فى المجلسين الموقرين على ذلك النظام البديع التى تسير بمقتضاه أرقى دول العالم مدنية ، وأرفعها شأنا فى المجتمع الانسانى .

الفصل السادس

الاعتـــداء الإيطالى

هاهى ذى سفينة الحكم فى اتيوبيا الحديثة ترسو على مرساها بسلام ، وتشق طريقها نحو الأمام ، بخطى ثابتة بفضل اتحاد بنيها ، وحســن قيادة مليكها ، فتراها عامرة بالبنيان ، غاصة بمعاهد العلم التى يقصد اليها أبناء الشعب من كل طبقة وجنس ليرتشفوا من منهلها العــذب ، ويرووا ظمأهم من عذبها المورود ، حتى يشبوا جيلا نافعا وشبابا فتيا يحمل لوطنه بين طيات نفسه وخلجات قلبه أسمى معانى التضحية والفداء حتى يكونوا عدة الحاضر ، وذخيرة المستقبل ، ويبنوا بأنفسهم مجــد وطنهم ، ورفعة أمتهم .

فى هذه الفترة والبلاد على مفترق الطرق ترتكز على نقطة التحول يتأهب أهلها لتقدم الأمة ونهضتها بعد أن استقرت فيها الأمور تحت ظلال الأمن وربوع الحرية والاستقلال ، تعيش هادئة مطمئنة ، فى داخل حدودها الجغرافية ، وتسعى جاهدة فى الأخذ بأسباب السعادة ، وطرق أبواب المجد ، ليتحقق لهم مجد أمتهم وعظمة دولتهم ويحافظوا على كيان تلك الأمة الحية التى لها تاريخ مجيد .

اذ ذاك وفى هذه الآونة برزت فى الأفق سحابة سوداء . فاكفهر الجو . وأظلمت السماء . وثارت الأعاصير . وهبت الرياح . ونفثت السموم . واهتزت أركان البلاد . وهدد استقلال الأمــة . ومنيت الدولة بغــزو الايطاليين واعتدائهم السافر على أمة هادئة آمنة مطمئنة .

ولم يعلموا أن هذه الأمة قد مرت بها فترات دقيقة، وظروف خطيرة متباينة ، كانت فى كثير منها مثالا عاليا للاقدام والشجاعة والتضحية والبذل والجهاد والفداء . وأمة استطاعت أن تحتل مكانها فى صفوف الأمم الحرة التى تدفع حياتها رخيصة ثمنا لشرفها وكرامتها ، وحرصا على استقلالها وحريتها . لذلك كان لا بد أن يواجه الاتيوبيون ذلك الاعتداء السافر.اعتداء ايطاليا الفاشستية بهذهالروح الوثابة العالية وان لم يكن لديها السلاح المادى لكنها غنية بالقلب الثابت والايمان الأكيد . والصدر الواسع . والجأش القوى . فيحق لها أن تواجه العاصفة وتقف فى الميدان خلف مليك يستهين بالصعاب فى سبيل وطنه ، ويتحمل المشاق فى نظير دولته ، فهو البطل النادر . والشجاع الماهر . والقائد المظفر . والسياسى المحنك . فما لبث أن احتل الصف الأول فى الميدان وعندما احتدم القتال ، واشتبك الطرفان ، ودارت رحى الحرب والعدو الغاشم يصب جام غضبه على الأمة الآمنة العزلاء ، والدولة المؤمنة القوية بايمانها ، الواثقة بالنصر من عند ربها . لذلك فان الأسلحة الحديثة الفاتكة ، والغازات المهلكة الخانقة التى كان ينزلها العدو بهذا الشعب الأمين من غير ضمير يردع . ولا وازع انسانى يمنع . ولا فؤاد حى يؤنب لم تثن الأمة الاتيوبية عن عزيمتها ، ولم ترجعهم عن غايتهم ، فلم تلن لهم قناة ، ولم تفتر لهم عزيمة ، ولم يقعد بهم الضمير الحى والروح الوثابة عن الجهاد فى سبيل الوطن . والذود عن حريته . والدفاع عنه حتى يلقى الله آخر جندى فيها أو يتحقق لهم النصر . فان العدو اذا تمكن من الأخذ عنوة والاستيلاء على الأمة بالقوة . وسلب خيراتها . واحتلال أرضها . فانه لن يستطيع أن يسلب شعورها ، أو يمنع احساسها ، أو يميت ضمائرها ما دام ضميرهم حيا . وعزيمتهم قوية .

وقد كان لهذا الاعتداء الوحشى أسوأ الأثر لدى العــالم المتمدين حيث استقبله الجميع بالسخط والاستنكار ، اذ أنه عمل وحشى ينافى الانسانية وما تدعو اليه من سلم ووفاء ومحبة واخاء .



الامبراطور هيل سلاسى الأول
« فى الخط الأمامى من ميدان القتال سنة ١٩٣٦ بزى القائد الأعلى »

رأى جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول ما نزل بشعبه من الهلاك والفناء وأنه ان ثبت معهم أمام عدو جبار فانما هو يقدمهم طعما للنيران

ويلقى بهم الى التهلكة . لذلك استعمل فكره واستقر رأيه . وظهرت حكمته . وتجلت حصافته . فقد رأى أن الدفاع بهذه الصورة لايجدى. والثبات فى الميدان أمام هؤلاء الأعداء لا يفيد . اذ العدو سادر فى غيه . مستمر فى بغيه . مستمرئ مرعى لهوه . ولا يتناهى عن زهوه . يجترئ على الآمنين بقبيح فعاله . وشنيع أعماله ، فكان لا بد أن ينتقل جلالته الى ميدان آخر ليدافع فيه عن وطنه . ويشق طريقا ينقـذ منه أمته ، ويسلك سبيلا يحقق به النصر لدولته . فانتقل خارج بلاده ليسـمع صوته للعالم الحر على منبر مجلس الأمن الذى كان مقـره فى جنيف وقتذاك .

مغادرة جلالته عاصمة ملكه

اشتد الخطب . وتفاقم الأمر . وبلغ السيل الزبى . وجاوز الحزام الطبيين.ولم يعد أمام جلالته طريق يسلكه لتحقيق النصر سوى الطريق الذى ارتآه بثاقب بصره ، وهو أن يهرع الى العالم الحر .

غادر جلالته عاصمة ملكه « أديس أبابا » فى سـنة ١٩٣٦ وقلبـه ملىء بالثقة من عدالة السماء التى لا تغفل ، وأنه وان ترك أمته بجسده فهو معها بروحه وقلبه ، وعقله وسمعه . لذلك ترى الأمة ترمقه بنظرة كلها أمل ورجاء وترقب لعودته اليها ، حاملا أعز شىء فى الوجود لديها ألا وهى (الحرية) . فان الحرية شمس يجب أن تشرق فى كل نفس ، وتضىء فى كل قلب ، فمن عاش محروما منها عاش فى ظلمة حالكة . الحرية هى الحياة ولولاها لعاش الانسان بائسا ذليلا . لذا كان لا بد أن يحرص الاتيوبيون وعلى رأسهم مليكهم على ذلك المطلب السامى وهذه الغاية المثلى التى منحها الله كل فرد ووهبها كل انسان :

أيقن جلالته بالنصر . واطمأن قلبه العامر بالايمان بالنجاح والظفر يتجلى ذلك فى قوله : (فى هذه الساعة الحرجة .. فى تاريخ « اتيوبيا » مايزيدنى ثقة وايمانا فى القدرة الالهية على حماية «اتيوبيا») والعاقل من يعتبر بالماضى . ويأخذ منه العظة والعبرة . والدرس والحكمة . لذا ترى أن الامبراطور (منيلك الثانى) قد قال نفس هـذا المعنى الذى نطق به جلالة امبراطورنا العظيم . وبهذا الأسلوب الذى يدل على الثقة بالنفس والايمان القوى فى مثل هذه الظروف . قال :

(ان الله القادر على كل شىء هو الذى حمى بلاد «اتيوبيا» حتى الآن . وانى متأكد كل التأكيد بأنه سيظل يحميها فى المستقبل) .

بهذه الروح الوثابة ، وتلك الفكرة السامية ، استطاع « العاهل » هيل سلاسى الأول أن يحقق لبلاده النصر ، وأن يكتب الله له الظفر ، بعـد أن استمر جلالته خارج بلاده خمس سنوات قـوى العقيدة راسـخ الايمان . شديد الأمل فى التعلق بربه وفى الفوز من عند خالقه كحالته يوم أن ترك وطنه . وهاهو ذا يعود اليه بعد أن تحققت آماله ووهبت له رحمة الله وعدالة السماء وكأنى به يعود ولسان حاله يقول ما قال حكيم الزمان :

« دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة » .

فان الحق مهما هبط وانخفض حينا من الزمن لا بد أن يعلو ويرتفع . أما الباطل فان ارتفع فارتفاعه موقوت فهو كالزبد يذهب جفاء . وأما الحق فينفع الناس . فهو أولى بالمكث فى الأرض .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نسجل بمداد الفخر استبســال ذلك الشعب الاتيوبى الذى أظهر من الشجاعة ما جعله موضع الدهشة ومحل الاعجاب .

فكنت ترى القلوب وقد ملئت بحب الوطن ودفعها ذلك الحب الى الجهاد والتفانى فى سبيل النصر والظفر فلم يتخلف عن القتال رجل أو امرأة . شاب أو شيخ . بل كل بذل جهده وأعمل فكره فى سبيل بلده ووطنه كل ذلك بث روح الأمل فى نفس الامبراطور العظيم وزاد ايمانه وتعلقه بشعبه الأبى وجعله يخلق ميدانا يداهم فيه العدو ويعود الى وطنه ظافرا .



كان يوم ٥ مايو سنة ١٩٤٢ يوم بعث ونشور للشعب الاتيوبى ـ وها هو ذا
جلالة الامبراطور يخطب الشعب ويشكر الله على النصر المبين

الفصل السابع

٥ مايو ١٩٤٢

عودة جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول إلى وطنه

مكث جلالة الامبراطور خارج بلاده خمس سنوات يعمل فيها من أجل وطنه ، ويسعى جاهدا فى تحقيق نصره ملتمسا السبل كلها الى ذلك ، مصطنعا الأساليب الدبلوماسية ، والدعاية بين الحكومات والشعوب ، ماوسعه الأمر ، وهو ذووسع كبير — حتى التفتت الدنيا الى أن ثمة شعبا ظلم ، وحقا هضم ، وأصاخ بسمع الزمان ، الى قضية اتيوبيا ، وحينئذ استجاب القدر ، وتحققت قولة عمرو بن العاص حين سئل عن ألذ الملذات ؟ قال : « الغمرات ثم تنجلى » .

كل أولئك والشعب الاتيوبى صابر متحمل لما يلاقيه من الأذى مترقب عودة قائده منتظر ساعة الفرج والخلاص .ساعة الحرية والانطلاق ساعة الظفر والنصر . والحالة الدولية تنتقل من سيىء الى أسوأ ، ومن خطر شديد الى خطر أشد ، ومن ضرر جسيم الى ضرر أجسم ، فما أسوأ ما كانت تلك الحالة فى هاتيك الأيام . وما أشد وقعها وألمها على نفس الأمة فى تلك الحقبة من الزمان . وما أعظم ما احتملت فى هذه الفترة العصيبة . ياالله . دول تمحى من الوجود . وعروش تدك . وأرواح تزهق . ودماء تراق . وطمع يسرى . ومرض الاستعمار يستشرى . وفساد يظهر . وتخريب وتدمير فى سبيل تحقيق المطامع والأغراض . ألا . هل من منقذ لبلد عضه الدهر بنابه . واستعمل

فيه مخالبه . وعدت عليه العوادى . أى والله . ان ربى لسميع بصير . اذ فى هذه المرحلة الخطيرة . وهذه المعركة الجارفة . وتلك المشكلة العالمية . ظهرت أمام عينى جلالته بارقة من الأمل . أضاءت له طريق الكفاح والجهاد مرة أخرى . وما كان لنفس أبية أن تصبر على الضيم . أو لروح عالية أن ترضى لنفسها الذل والهوان . ولشعبها الاحتلال والاستعمار . ولكن النفوس الأبية تعلو بهمتها الى القمم وتسمو بمجهودها الى الرفعة . وتقود رعاياها الى حيث المجد والذروة .

ففى الخامس عشر من يناير سنة ١٩٤١ نادى منادى الجهاد،فاستجاب القوم للنداء . وما كان ذلك النداء الا ضمير جلالته الحى . وفؤاده الرقيب . وشعوره الرقيق . واحساسه المرهف . وتضحيته وبذله . وجهاده وصبره . كل ذلك كان دافعا له الى أن يقود جيشا من أبناء شعبه يؤمنون بالنصر . ويوقنون بالظفر . ويسعون نحو غاية نبيلة . يهون عليهم فى سبيلها دماؤهم وأموالهم . وأبناؤهم وأنفسهم .

عبر هذا الجيش حدود السودان — وخاض فى أرض وطنه — معارك حاسمة ومواقع فاصلة . مع القوات البريطانية جنبا الى جنب ، فما لانت له قناة ولا وهنت له عزيمة ، ولا تسرب اليه يأس ، ولا فل غرب سيفه ، ولا أدركه وجنوده ملل . بل جعلوا الصبر رائدهم والعزم قائدهم ، والثبات حليفهم . وقالوا فى أنفسهم : (اما النصر واما القبر) أبوا على أنفسهم الا أن يعيشوا أحرارا ، أو يموتوا أبرارا . فكان لهذه العزيمة القوية . وتلك الروح الوثابة أثر كبير فى تعجل النصر ، وتحقيق الظفر ، فى حقبة يسيرة من الزمن ، حيث لم تمض بعد استئناف جلالته القتال الا بضعة أشهر ولى بعدها العدو الادبار فى جميع الميادين يبوء بالفشل ، ويؤوب بالخذلان ، ويجرر أذيال الخزى وحقا ما يقوله القائل : (على الباغى تدور الدوائر) .

. فى تلك الساعة تنفس الناس الصعداء ، وشـــكروا خالق الأرض والسماء ، الذى وهبهم حياتهم من جديد ، ومنحهم حريتهم التى غابت عنهم من زمن بعيد . لهجت الألسنة لجلالته بالثناء والتقدير . فقد أنقذ أمته ، وانتشل دولته ، من براثن الاستعمار ، ومخالب الاحتلال. بعد أن ظل جاثما على أرض الوطن أعواما خمسة ظانا أن هذا الشعب يستعبد أو يذل ، ولكن شعبا رباه هيل سلاسى الأول ، وغرس فيه مبادئه ، حرى أن يموت فى سبيل وطنه ولا يقبل ذلا ولا ضيما . فقد عرف من مليكه سبيل الجهاد . وقوة الاحتمال . ومضاء العزيمة . وشدة الشكيمة ، والثبات والصبر . وقد وفاه بما عاهد والتزم وما أبرم ووضع كفه فى يدى جلالته حينما سمع النداء ، وأذن منادى الجهاد والفداء .

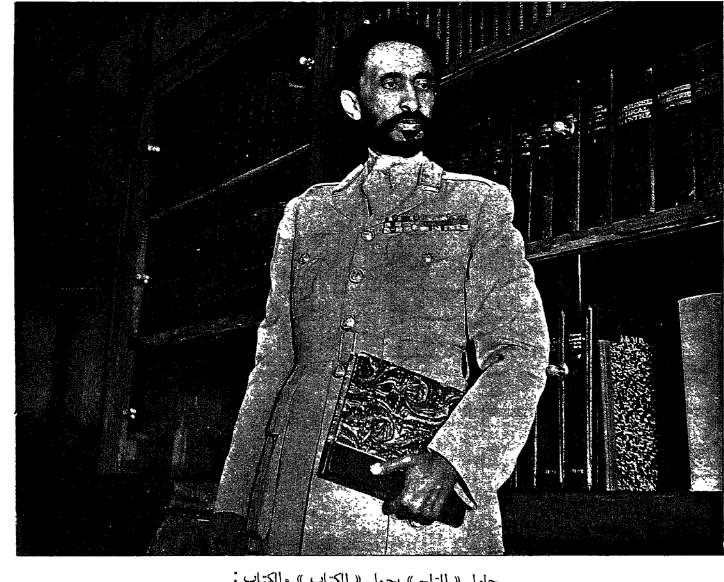
أناس صدقوا ما عاهدوا الوطن عليه فباعوا أنفسهم ، واشـــتروا حريتهم واستقلال وطنهم ووفاء مليكهم . حق لله أن ينصرهم . ويجعل الظفر حليفهم على يد قائدهم هيل سلاسى الأول . وحسبك أن جـــلالة الملك — وقد مرت عليه فى حياته الطويلة تجارب عدة صقلته وحنكته — لكنه كعادته بعد كل نصر لم يجد الغرور اليه سبيلا . بعد أن أتم الله لجلالته النعمة الكبرى ، نعمة الخلاص من عهد الظلم والطغيان الى عهد الحرية والمجد والاستقلال فى أرض الوطن . أرض الآباء والأجداد ، فتراه وقد دخل عاصمة ملكه السعيد (أديس ابابا) فى الخامس من مايو سنة ١٩٤١ ظافرا مظفرا ، مجـــاهدا منتصرا ، عالى الرأس ، موفـــور الكرامة . يستقبله الشعب الاتيوبى استقبال الوفاء والاخلاص ، والشوق الحار المنقطع النظير . لا فى تاريخ اتيوبيا وحدها بل فى تاريخ كثير من الدول . كل أولئك لم يدخل الغرور على نفسه ، بل شكر الله وأثنى عليه ، وأرسى قواعد حكمه على العدل والاصلاح ، تاركا وراءه تلك المآسى المريرة ، والحوادث الأليمة . والمصائب المتتـــالية التى حلت بالبـــلاد .

للتاريخ أن يحكم على أعدائه بالظلم والعدوان ويستنكر عملهم الشنيع وعدوانهم الفظيع . ويسجل له صفحة من الفخر تنطق بالمجد وتفوح بالرفعة والعظمة وتشهد بالفضيلة والكرامة .

اتجهت نفسه الكبيرة الى ناحية الانتاج والاصلاح . فأخذ يعالج بحكمة طابعها الرقة والحنان جميع المشكلات الدقيقة الماثلة أمامه ليمسح جراح الماضى عن شعبه الذى تحمل آلام الاستعمار وقسوة الزمان بدون أن يفت ذلك كله فى عضده ، أو يزحزح عقيدته ، أو يرجعه عن فكرته أو ينقص ايمانه بحق وطنه ويسير وراء قائده مترسما خطاه ، فلم تبد على مظاهر الحياة الجديدة فى البلاد آثار الماضى البغيض، ولكنها كانت سحابة صيف تقشعت ، وامتحانا لشعب نبيل وفى أظهر فى محنته كل شجاعة واقدام . فخرج منها ظافرا ، مرفوع الهام .



قصر صاحب السمو الأمير مكنن دوق هرر فى اديس ابابا



حامل « التاج » يحمل « الكتاب » والكتاب :

جليس لا ينـم ولا يداجى ويكرم لا يذم ولا يحـابى

عزيز أباظه

الفصل الثامن

الحركة الفكرية

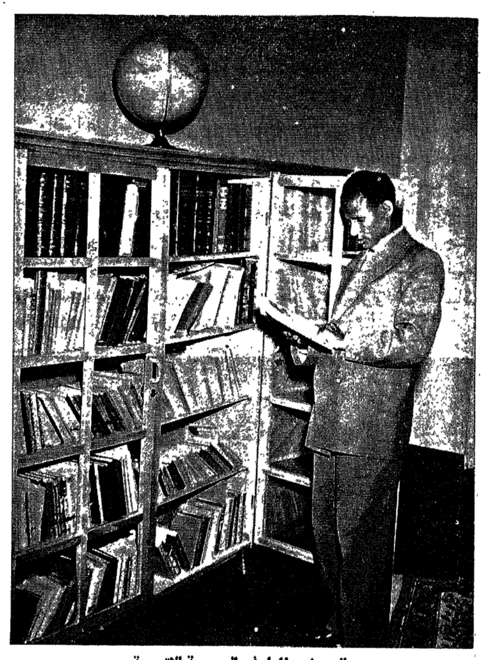
التعليم

ان لجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول مناقب متعددة . ومزايا متنوعة . فكم من يد بيضاء مدها الى وطنه فبدلت حربه سلما . وخوفه أمنا . وكم من نعمة أسداها الى أمته فغيرت مجرى تاريخها ، وأخرجتها من ظلمات الجهل الحالك ، الى نور العلم والعرفان .وايمانه القوى بما للتعليم من فائدة وأثر فى رقى الأمم ، وحضارة الدول ، جعله يخصه بالنصيب الأوفر من عنايته ، والظل الوارف من رعايته ، فقد بذل أقصى جهده فى سبيل محو الأمية ، التى هى عنوان الذل ، ورمز العبودية ، وسعى سعيا حثيثا لتوفير أسباب المعرفة ونشرها فى جميع أنحاء البلاد ، مبتغيا من ذلك شيئا واحدا هو خلق جيل جديد قد اتسعت مداركه فأصبح يساير روح العصر الحديث بما تزود من ثقافة ، وتلقن من تربية وتعليم ، واتصف من خلق قويم ، وأوتى من تمسك بأهداب الفضيلة التى تدفعه الى المجد ، وتحفزه الى الرفعة ، ففتح المدارس ، وأنشأ المعاهد لأبناء الأمة جميعا — مسلمين ومسيحيين ، فاذا بالأهالى تقدر التعليم وتجله فتقبل على المدارس اقبالا منقطع النظير فى تاريخ اتيوبيا حتى ضاقت على سعتها . الأمر الذى اضطر القائمين بالأمر الى انشاءمدارس أخرى ابتدائية وثانوية فى جميع أنحاء المملكة للنهوض

بالناحية الفكرية ، وتعميم الثقافة العلمية ، بعد أن عرف الشعب ماللتعليم من أثر ، فاستنار ذهنه ، واستضاءت بصيرته . فسدوا على أنفسهم مسالك الجهل ، بعد أن فتح لهم مليكهم أبواب العلم يشربون من منهله ، ويردون حوضه ومنبعه . وحسبك دليلا على نمو ادراكهم ، وعظيم تفكيرهم ، أن تعلم أن الأهالى المسلمين قاموا بوحى من ضميرهم ، فأنشأوا مدارس آهلية اسلامية فى كل مكان من هرر ودرداوه . بل أنشأوا فى العاصمة نفسها مدارس عظيمة يقومون بنفقتها على حسابهم الخاص خدمة فى سبيل نشر العلم والمعرفة .



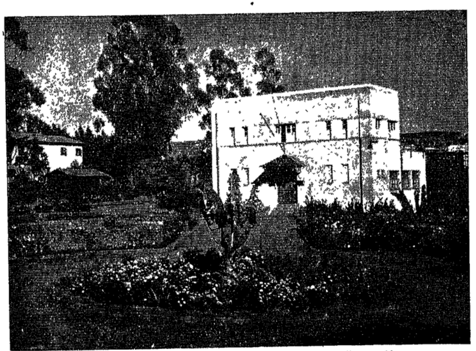
يرى جلالة الامبراطور وبجانبه الامبراطورة
يوزع الجائزة لأحد المتفوقين من أبناء المسلمين فى آخر العام الدراسى



معالى وزير المعارف العمومية الاتيوبية
« آتو أكل ورق » بين الكتب والبحوث .

أو ليس هذا دليلا على تقدم الوعى وتطور الفكر .. ؟

ولقد دفع حرص وزارة المعارف العمومية على احتضان كل فكرة تسعى لتحقيق مصلحة البلاد .. وحركة من شأنها رفعة الأمة . ومجد الدولة . أن تضم تلك المدارس اليها لتخفف العبء عن كاهل الأهالى بعد أن وافقوا على ذلك . تبغى من وراء ذلك تمكين تلك المدارس من نشر تلك الرسالة التى تحملها . وهذه الدعوة التى تدعو اليها ، وتشجيع أفراد الأمة الى اعمال فكرهم فيما يعود على أمتهم بالنفع ويجلب لها الخير . وقد أولتها الوزارة بعد ضمها اليها مزيدا من العناية والاهتمام ولا سيما معالى وزيرها الشاب (آتو . أكل ورق .) ذلك الرجل المستنير الذى يقدر العلم وأهله . ووهب حياته فى سبيل نشر التعليم ، والارتقاء باخوانه الاتيوبيين والأخذ بيدهم حتى يكونوا فى مصاف الأمم المتمدينة ، والدول المتحضرة .



المدرسة الليلية التى أنشأها جلالة الامبراطور

« برهانه زارى نو »

وان من أعظم المفاخر لهذا الوطن العزيز أن جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول — منذ أن اعتلى عرشه المفدى — قد اتجه بثاقب نظره . وعلو همته . وسديد رأيه . وصائب فكره . الى ارسال البعثات العلمية الى الخارج . واستدعاء العلماء منها ، حتى يتم عقد أواصر المودة والصداقة ، والتعاون والاخاء ، بين اتيوبيا وبين دول العالم المتحضر وشعوبها على أساس المحبة والسلام ، وهل فى الانسانية رحم هى أشد صلة ، وأقوى وشيجة من رحم العلم ، وفى الأثر : « العلم رحم بين أهله » .

ففى تمازج الأفكار ، واتحاد الآراء ، بين العلماء ، اخاء للانسانية أى اخاء .

فها هى ذى البعثات الاتيوبية تفد الى بلدان العالم فتشرب من مناهلها العذبة ، وحوضها المورود ، وتتلقى العلوم النافعة من تلك المعاهد العليا لتعود الى وطنها حاملة لواء المجد . ناشرة مبادىء العلم ، آخذة بيد أمتها الى طريق النور والمعرفة .

الأزهـــر

وان من دواعى الغبطة والسرور ، ودوافع الفرح والسعادة . وبواعث البهجة والحبور أن يفد الى الأزهر المعمور مئات الاتيوبيين بوحى من ضميرهم استجابة لرغبتهم الصادقة فى تلقى العلم وتحصيله ، وحبا فى الثقافة ونمو الادراك ، مما جعلهم يستهينون بالمشقات ، ويجاهدون لتحقيق الرغبات ، حتى يرجعوا الى بلادهم وقد تلقوا من هذا المعهد التليد وتلك الجامعة العالمية ما هو كفيل بتقدمهم . وتحضر بلادهم وأمتهم ، وحملها ورفعها الى ما يبتغون لها من عز وسعادة . ومجد وشرف ، فى هذا العهد الزاهر الذى فتح أبوابه على مصاريعه لأبنائه

جميعا فنمى فيهم الادراك ، وقوى فيهم الروح العالية . ووسع أذهانهم . وشرح بحب العلم قلوبهم . حتى أحس كل فرد منهم بالدافع الذى يدفعه ، والحافز الذى يحفزه ، الى الهجرة فى سبيل العلم ، والرحلة من أجل الثقافة ، محققين قول الله سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل أمة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) صدق الله العظيم وكأنهم قد وعوا قول مليكهم ، ونصائح امبراطورهم ، التى تمكنت من قلوبهم ، واستقرت فى أفئدتهم ، فان الكلام اذا خرج من القلب وصل الى القلب ، وبخاصة اذا كان صادرا عن اخلاص ومحبة ، والمليك المحبوب حين أهاب بأبناء الوطن ، وأفراد الأمة أن يستهينوا بالصعب ، ويستعذبوا المر ، فى سبيل طلب العلم والثقافة ، فان الأمة المتعلمة هى التى تستطيع أن تثبت وجودها فى الحياة ، وتتبوأ مكانتها بين الدول . وتحتفظ بمركزها أمام الأمم ، فتساير عجلة الزمن ، وركب الحضارة ، ويشعر أهلها بما حباهم الله به من عزة ، وما وهبهم من مجد وحرية .

فهاك قوله فى إحدى خطبه التاريخية :

« ان أولى واجباتنا ان ننشىء علاقات ثابتة مع الدول الأجنبية ، لأن عزلة اتيوبيا كانت السبب المباشر فى تاخر نهضتها وعدم تقدمها . ان التجارب أكبر اساس لنجاح الأمم . فلا بد لكل أمة تريد النهوض من أن تمر بالتجارب التى مرت بها الأمم الأخرى . ولا ينبغى الاستسلام والاكتفاء بواقع الأمر ، لأن ذلك من مظاهر الانحلال والخمول » .

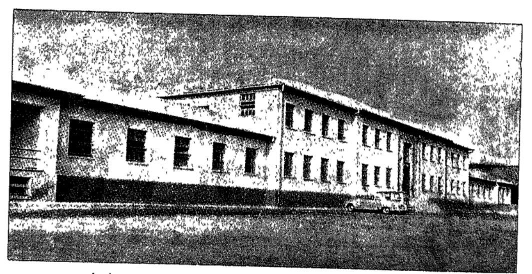
ثم قال جلالته موجها الكلام الى الشعب :

« ان اتيوبيا تريد منكم أمرين : الاتحاد، ونكران الذات ، لأن الواجب على كل أمةتريد الحياة الحرة الكريمة ان تتمسك بالاتحـاد وأهداب الدين والتعليم والتربية . ان التعليم أهم المسائل الحيوية للاتيوبيين لأنه حجـر الزاوية فى بناء حضـارة بلادنا . فيجب أن نطلبه رجالا ونســاء فى كل ظرف وفى كل مكان .. »

فى هذه الكلمة البليغة ما يكفىأن يعلم القارىء الكريممقدار مايكنه جلالته لشعبه من حب عميق ، وتقدير كبير . فطالما أنفق من أمـواله الخاصة على كثير من المؤسسات العلمية والأماكن الخيرية فى مناسبات وغير مناسبات ارضاء للعاطفة النبيلة التى حباه الله اياها منذ فجر حياته المباركة .

اذا كانت الجيوش بقادتها ، فان الأمم بملوكها ورؤسائها وسادتها ، اذ الملوك هم الرءوس ، واذا صلح الرأس صلح الجسد كله ، واذا امتلأ الرأس حكمة سرت الحكمة فى الجسم أجمع ، فـكان قويا ، وكان شديدا فتيا .

كذلك تسرى الحكمة البالغة فى الشعب الاتيوبى من عاهله الكريم ، ومليكه العظيم ، فتكون فيه نورا يبدد ظلمات الجهالة والجهلاء وضياء يطارد حلكة العماية السوداء ، وفى ضوء المعرفة يعرف الشعب طريقه الى المجد ، والى الهناءة والسعد ، يحدو ركبه عطف جلالة الامبراطور وحدبه ، وهما خير مدد ، وأقوى سند ، حتى يتبوأ الشعب مقعـدد على غارب العز الى الأبد .



ادارة الجامعة المنشأة حديثا بعاصمة اثيوبيا اديس ابا

الفصل التاسع

إنشاء المسرح القومى

بأمر ونفقة جلالة الامبراطور تثقيفاً وترفيهاً للشعب

لا مراء فى أن (المسرح) أداة طيعة ومنتجة من أدوات الثقافة والتعليم فى هذا العصر ، كما كانت المعلم الأول ، والمثقف الممتاز فى العصور السالفة .

ففى عصر الرومان كانت أبهاء المسارح ، تسابق حلقات الدروس فى تعليم الشعب وتثقيفه .. بل لقد كانت أبهاء المسارح أوسع رسالة ، وأعمق أداء ، وأدق تحقيقا ، لابلاغ الثقافة الى قلوب الشعب فى مختلف طبقاته وبيئاته .

ذلك بأن حلقات الدروس كانت — وما تزال — وقفا على طلاب العلم ، وورّاد مناهل المعرفة ، فى حدود معينة ، تحدها برامج الدراسات ، أو ما يشبه برامج الدراسات .

أما المسارح فانها لا حدود لها ... لا تحيط بها برامج معينة ، وليس لها دراسات مرسومة مقيدة .. بل هى تعالج الشئون التى يعنى بها المجتمع .. تلتمس مواطن الضعف ، ومواضع التخاذل والتهافت ، فتقوى تلك ، وتدعم هذه .. بما تشرح من مكامن الداء ، وأسباب الضعف والانحلال ، وبما تصف من دواء ، كل أولئك بأسلوب (مجسم) ، « وتشخيص » بارز ، تراه العين ، كما تسمعه الأذن .

ثم استمر المسرح منذ قديم يؤدى هذه الرسالات ، ويتطور بتطور العصور والبيئات ، فى الغرب والشرق . الى أن أقره علماء التربية الحديثة ، وفلاسفة الدنيا ، وسيلة جيدة لأداء الحقيقة مجسمة مجردة الى الشعوب ، فى أسلوب ليس فيه مرارة التعليم ، ولا عنف التثقيف .. بل هو أسلوب عذب حلو ، تقبل عليه النفس ، فى شغف ، وفى رغبة قويين ، جامحين ، لا يكاد يتخلف عن ورده الا العاجزون ..

* * *

من أجل ذلك نظر جلالة الامبراطور — وهو الحصيف الألمعى الموفق ، الدقيق النظرة ، الحديد الارادة ، العليم بما يرفع شأن شعبه ، الراغب فى هذه الرفعة رغبة أكيدة أصيلة — نظر جلالته — موفقا — الى هذه الأداة الصالحة من أدوات الثقافة ، فرأى ألا يحرم شعبه منها ، وشاء أن تقوم هذه الأداة الى جانب الأدوات الأولى من مدارس ومعاهد، ويكون جلالته بذلك قد جيش جيوش العلم ، كما جيش جيوش الكفاح والجلاء . فأخذت الأمة بالحظ الأوفر من القوتين : قوة الذهن ، وقوة الجسم ، ومتى تكافأت القوتان ، وتساندت الأداتان ، فقد حلقت الأمة فى سماء المجد بجناحين ، واقتعدت غارب العز بسلاحين ، من سلاح وتفكير ، وسيف وحسن تدبير ..

* * *

أشارجلالتهفكانت اشارته أمرا،وشاء عظمته فكانت مشيئته قدرا . ونفذت الاشارة ، وتحققت المشيئة ، بتأسيس (المسرح القومى) لينهض برسالة « التمثيل » أمام الشعب — على مختلف طبقاته ، ومتباين بيئاته — لكى تتشرب النفوس ما يحمل من عظات ، وتستنير قلوب الناس بما يشاهدون من وقائع وما يسمعون من آيات . ثم ليرفه عن

العاملين ، ويسرى عن الكادحين ، فيتجــدد نشاطهم ، ويســتعيدون قوتهم وجلدهم .

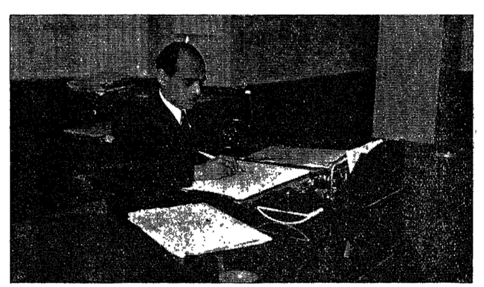
ويشرف على هذا المسرح رجل من أعلى الناس ثقافة ذهن ، وسعة أفق ، ومــن أكثرهم علما ، وأعمقهم معرفة ، هو صــاحب المعــالى « آتومكنن هبت ولد » وزير المالية . فمعاليه هو المشرف ، وهو الرئيس الموجّه للمسرح ، وهو الذى يختار المسرحيات التى تجرى على خشبة المسرح . يضطلع معاليه بهذا العمل الى جانب ما ينهض به من أعبــاء أعماله الجسام فى الدولة ، فالمال هو عصب الحياة ، ووزير المــالية — دائما — هو الذى عليه أن يدبر ، وأن يهيىء الحياة الهنيئة والعيشة الرغدة للشعب ، بتوجيه من امبراطور الشعب المحبوب .

وهذه المسرحيات انما تؤدى باللغة القومية للبلاد — كى لا يفوت واحد من النظارة والمشاهدين معنى من المعانى ، أو لفظ من الألفاظ ، أو مغزى من مغازى الكلمات والحركات .

وقد تألفت فرقة وطنية خالصة ، كاملة العدة ، تامة الأهبة ، ذات حذق وبصر بالمسرح ، هى التى تقوم بالتمثيل . بتوجيه معالى الوزير . وهى تمثل المسرحية الكاملة — ذات الفصول الأربعة أو الخمسة ، متضمنة — غالبا — ما احتوى بطن التاريخ من عظات الماضى وشئونه ، مقيسا الى عبر الحاضر وأموره .. متضمنا بعضها شجاعة الأسلاف ، وبسالة الآباء والأجداد ، لتزيد الشعب قوة الى قوة ، ولتلهبه حماسة على حماسته فما أروع شعبا قويا متحمسا :

متى تجمع القلب الذكى، وصارما، وأنفا حميا ، تجتنبك المظــالم .

وهذه المسرحيات ، ليست مقتبسة من آداب الغير ، ولا مترجمة عن مؤلفات أجنبية . ولكنها مؤلفة بأقلام وطنية ، صادرة عن نفوس قومية ، لتكون أمرأ للنفوس ، وأدخل فى العقول ، وأحلى فى الأفئدة والقلوب .



معالى وزير المالية « آتومكنن هبت ولد »
المشرف على المسرح القومى بأديس أبابا
الى جانب أعماله الاخرى الخطيرة

وبهذه الوسيلة تتحقق الرغبة الامبراطورية تحقيقا تامــا ، ويتيسر أداء الرسالة الثقافية الشعبية التى شاءها جلالته أدنى تيسير ، ويستوفى الغرض أتم استيفاء ، وتكون بلادنا العزيزة قد أخذت بكل ســبيل لاستكمال أهبتها لمسايرة موكب الحضارة العالمية ، فى غير ونى ولا تقصير . بل فى سبق كريم ، واصرار خطير .

الفصل العاشر

صـــوت أتيوبيـا

على موجات الأثير

ما كان لدولة فتية ، كالدولة الاتيوبية ، لها من الادراك الرفيع ، والعز المنيع ، مالها . وعلى رأسها عظيم عالمى يملأ الصـــدور مهابة ، والقلوب جلالة ، والمحافل الدولية روعة اسم ، وعظمة ذكر ... سجل برأيه على صفحات التاريخ أعز نصر،وحفر بسيفه وهمته على صدر الدهر أضخم فخر . هو جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول .

أقول .. ما كان لدولة هذا شأنها ، ولأمةهذا عظيمها وقائدها . أن تغفل جانبا من جوانب الحضارة ، وطرفا من أطراف التقدم والرقى ، وسلاحا من أسلحة الظفر ، دون أن تأخذ منه بالحظ الأوفر ، والقسط الأكبر .

* * *

ولما كان من وسائل الدعاية الكبرى فى العصر الحديث ، اســماع صوت الأمم — بعضها بعضا — على موجات الأثير ، بوساطة (محطات الاذاعة) فقد شـــاء جلالة الامبراطور ، بثاقب رأيه ، وبعيد نظره ، ومرهف حسه ، أن تتقوى محطة الاذاعة الاتيوبية ، كى تضارع — بل تسابق — مثيلاتها واخواتها فى عواصم الدولات ، وكبرى المـــدن ، فى كل الجهات .

وكذلك كان .. فلقد جهزت محطة الاذاعة الاتيوبية بأحدث الآلات والأدوات ، فأصبحت من أعظم المحطات . وأصبح صوتها الصادر من بطن العاصمة الكبرى « أديس ابا » مسموعا فى شتى الأقطار ، وجميع الجهات والأمصار .

* * *

ولم يكن كافيا أن تجهز المحطة تجهيزا هندسيا ،بل لقد روعيت النواحى الفنية والثقافية ، أكمل رعاية ، وعنى بها أتم عناية — سواء أكان ذلك من طريق الاقتباس ، أم من طريق الابتكار والابتداع .

ذلك بأن الذكاء الاتيوبى ، المشهود به عند الجميع ، وما يتمتع به كل فرد فى هذا الشعب من حسن الادراك ورهافة الحس ، لم يكن ليقصر دون أن يضرب فى هذا الميدان — كما ضرب فى كل ميدان — بالسهم الوافر ، واليد الطولى .

فما لبثت القوة الاذاعية الاتيوبية أن تسبح على أمواج الأثير ، حتى قهرت محيطاته ، وتجاوزت شواطئه وجنباته ، الى أبعد الأقطار ، وأقصى الحدود والبلاد والديار .

واستطاعت اتيوبيا أيضا — بهذه الوسيلة الجديدة وهى من اختراع العلم الحديث وابتكاراته التى نرجو دائما أن تتجه الى الخير — استطاعت اتيوبيا أن تثبت أنها كلما أخذت من أطراف المجد بسبب ، سابقت فيه فسبقت ، وأحسنت فنجحت .

وكذلك الأمم المفطورة على الذكاء ، هى أمم لمّاحة هيهات أن يفوتها شيء اذا ما اتجهت همتها الى ادراكه . ولئن فترت يوما حماستها ، أو غفت ساعة عينها ، فما تلبث أن تعود الى يقظتها ، اذا هى رزقت الرائد المخلص ، والرئيس المصلح ، والقائد الموفق .

وإذا أتاح الله للامة الاثيوبية هذا كله فى شخص جلالة امبراطورها، فقد نهضت نهضة هيهات أن تؤوب منها الى الركود ، بل هو اندفاع الى الإمام ، يتبعه اندفاع ، بفضل هذا الملك الهمام .

* * *

ومحطة اثيوبيا الاذاعية فى اديس ابابا ذات برامج وطنية ، تذيعها باللغة القومية وبسائر اللغات الأخرى التى تتكلمها الأمم الحية وفى مقدمتها اللغة العربية حتى تستطيع بذلك أن تسمع العالم المتحضر كله صوت اثيوبيا — هذه الأمة الفتية ، الناهضة القوية . وحتى تهيىء الفرصة وتتيح النهزة ، لكل بنى الانسان ، فى جميـــع الأقطار والبلدان . أن يدركوا ما بلغته أمتنا العريقة من الشأن الرفيع ، والعز المنيع . وأنها قد ضمت الى تاريخها التليد الموروث، حضارة طريفة حديثة . وبذلك تكون قد جمعت المجد من كلا طرفيه ، وشغلت حيزا فى التاريخ من كلا جانبيه : قديمه وحديثه .

نبنى كمـــا كانت أوائلنـــا   تبنى وتفعـــل مثل ما فعلوا

* * *

هذا ومن ملاءمة الأشياء أن يتفضل جلالته فيسند الى معالى وزير المالية «آتو مكنن هبت ولد» الاشراف على المحطة الاذاعية — الى جانب اشراف معـــاليه ، كما أسلفت ، على المسرح القومى وغيره من الأعمـــال — كيما يكون مسئولا أمام جلالة الامبراطور ، عن تحقيق رغبـــات جلالته السامية ، وتنفيذ مشيئاته العالية ، فى نشر الثقافات العامة على نحـــو واسع ، لكيلا يبقى فى الشعب متخلف ، بل الكل ناهض بواجبـــاته ، مضطلع بتبعاته . فتكون هذه النهضة شاملة ، واليقظة كاملة .

الفصل الحادي عشر

الصحافة

ان من دلائل الرقى ، وعلامات الرفعة ، وأمارات المجد أن ترى اتيوبيا الحديثة قد لبست ثوبها القشيب تزدان به أمام الدول ، اذ ظهرت بالمظهر اللائق بها كدولة فتية استطاعت أن تساير الدول وتركب متن الحضارة . فهذه صحفها تنقل الى العالم رقيها ، وتسمع الدول صوتها . وتجلى أمام الدنيا صورتها — فان الصحافة مرآة تنعكس عليها صور الشعوب ، وأبواق ناطقة بما تنطوى عليها الحياة فى الأوطان ، ومبلغ ما هى عليه من الأخذ بأسباب النهوض — ولما كانت الصحافة بمثابة الصلة القوية بين أجزاء العالم ، والرباط المتين بين الدول ، فان نهضتنا الصحفية تجعل اتيوبيا الحديثة لا تعيش فى عزلة عن الناس ، ولكنها تشاركهم حياتهم . وتنقل عنهم تطورهم . وتظهر لهم وعيها القومى الجديد ورفعتها فى ذلك العهد السعيد ، عهد جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول .

تظهر الصحف فى اتيوبيا بلغات متعددة ، ولهجات متنوعة ، تدل على ما وصل اليه الاتيوبيون من النضوج الفكرى فى عهدهم الجديد . كل ذلك يسطره التاريخ ويسجله فى صفحاته بمداد من الفخر لمليكنا العظيم الذى أنشأ تلك الدولة ، وخلقها من جديد ، ورعاها فأحسن

رعايتها ، وحكمها فأشاع العدل بين ربوعها ، وأتاح لها من المتاع الذهنى والغذاء الفكرى ، حظا غير يسير .

ففى أى ناحية من نواحى الاصلاح والانشاء والتجـديد يتكلم الكاتب . وما من مظهر من مظاهر الرقى ، ولا ناحية من نواحى التعمير التى قامت باتيوبيا ، وظهرت فى البلاد ، الا وكان لجلالته اليد الطولى ، والقدح المعلى ، للأخذ بيد هذه الامة وتشجيعها . فتراه كلما تقدم الزمن، ومرت السنون ظهر لجلالته فضل جديد ، وبدأ فى الأفق خـير عميم يحققه جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول .

ففى سنة ١٩٤٢ تفضل جلالته فأمر باصدار « جريدة العلم » باللغة العربية الى جانب الصحف الأخرى التى تصـدر باللغات الأمهـرية ، والتجربة ، والانجليزية والفرنسية ، فى اديس ابا . وجريدة العـلم هذه تصدر مرة فى كل أسبوع . ألا وان اصدار هذه الصحيفة العربية لدليلا آخر وحجة واضحة وبرهانا ساطعا على تقدير جلالته وعطفه على المسلمين ، ولغة دينهم المفضلة لديهم ، المحببة الى نفوسـهم ، التى يؤثرونها على جميع اللغات . فما أعظمه من محافظ على الشعور ، وماأرقه من مراع دوافع الاحساس . شعوره شعور نبيل . يشعر بكل رغبة . واحساسه احساس مرهف . يحس بكل ارادة . ونفسه خيرة تحقق كل غاية . وقلبه حىّ نقى يعطف على كل فرد . يبغى الاصلاح لبلدة أينما كانت وسيلته ، وحيثما اتفق مظهره . الكل عنده سواء . هم جنوده وهو قائدهم . هم رعاياه وهو مليكهم وحاكمهم .

فهو ملك قومى ، بكل ما فى هذه الكلمة من دلالة صادقة على المعنى الواضح ، ليست لديه طائفة مفضلة عن طائفة ، الا بما يعمل هؤلاء أو أولئك لصالح الوطن ، وخير البلاد . من أعمال تزيد فى مجد الوطن ، وتنمى ثراءه الفكرى والمادى .



صاحب الجلالة الامبراطورية فى مكتبه الخاص بين الكتب والبحوث التى لا ينقطع عنها كلما واتته الفرصة ـ فهو يكرم العلماء فى أشخاصهم • وفى كتبهم ومؤلفاتهم

وها هو ذا يقول فى هذه المناسبة :

« منذ تسلمنا مقاليد الحكم ونحن دائبون على فتح المدارس لأبناء المسلمين والمسيحيين على السواء ، بدون تمييز بين الأديان ، أو القبائل ، لأن الجميع امام القانون سواء . ولأنهم أبناء اتيوبيا ، بالرغم من جهود العدو التى بذلها للتفريق بين عنصرى الأمة . وقد بذلوا جميعا دماءهم فى سبيل القضيةالكبرى المشتركة . والمسلمون اذكياء ناهضون عرفوا مقاصد العدو فافسدوا عليه حيله ، لأنهم يعرفون ما اوصى به نبيهم الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن كرم اتيوبيا وحسن وفادتها للمسلمين الأوائل الذين هاجروا اليها » .

ثم قال :

« عند ما كنا فى الخرطوم بالسودان ونحن على اهبة الاستعداد للدخول الى وطننا اقبل الينـــا كثيرون من المجاهدين مســـلمين ومسيحيين يطلبون السلاح للوقوف فى وجه العدو الغاصب » .

ثم قال جلالته :

« وكرغبة منى فى اثبات ما بين العنصرين من وشائج الأتحاد ومظاهر الايمان والتضامن والاخاء امرت بان تصدر « جريدة العلم » تحمل هذا الاسم الذى يرمز الى معنى التكتل والتآخى فى سبيل حرية بلادنا » .

* * *

انه لفكر ثاقب . ورأى سديد . أن يوجه جلالته عنايته ويخص رعيته بلفتته . تلك اللفتة التى حققت الآمال ، وزادت وشائج الصـــداقة ،

ووطدت علاقة المحبة بين العنصرين ، حتى أصبح كل منهم يحس باحساس أخيه ، وشعور مواطنه ، يجمعهم وطن واحد ويحكمهم ملك واحد ، جمع شملهم ، ووحد كلمتهم ، بفكره السليم ، ورأيه السديد ، اذ قد رمى العصفورين بحجر واحد فها هو ذا يوحد الصفوف ، ويجمع الكلمة ، فى وقت ينشر فيه الثقافة بين سائر الأمة ويرفع شأن دولته باظهار تلك الصحيفة البيضاء الناصعة التى تحمل فى طياتها مجد اتيوبيا ورفعتها ، وتنشر على العالم أجمع ما وصلت اليه من رقى وحضارة . وتذيع على الشعب الاتيوبى ما يدور ببلدتهم من أمور تهمهم ، ومسائل تشغل فكرهم ، فياله من ملك عظيم ثاقب الرأى عظيم التفكير ، قوى الحدب والعطف على أبناء وطنه أجمعين .

فالأمر لا يعدو ما قال شوقى :

الدين للديان جل جلاله   لو شاء ربك وحد الأقواما

ان فى طبائع الاستبداد كراهية الحرية التى من أقوى مظاهرها الصحافة، أما طبائع العدالة والانصاف فانها لا تنفر من الصحافة ولا من غيرها من وسائل التعبير على الرأى، وأداء مكنونات الفكر، ولما كانت طبيعة جلالة امبراطورنا العظيم هى طبيعة العدالة والانصاف ، فان جلالته لم يكتف بالسماح للصحف أن تتأسس ، وأن تظهر ، بل دفعها جلالته دفعا الى الظهور ، وشجعها . ورعاها . وحماها بعطفه ، حتى أورقت وأحسنت التعبير حين نطقت .

الفصل الثاني عشر

إنشاء المحاكم الشرعية الاسلامية

طبع عهد جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول بطابع العدالة والتسامح والمساواة بين أفراد شعبه، وطبقات أمته كما ذكرت مرارا، فقد كان المسلمون فى اتيوبيا — قبل تولى جلالته قيادتها، واعتلائه عرشها — يعرضون مشكلاتهم الدينية على من يلمسون فيه معرفة العلوم الشرعية منهم ، وكانت أحوال القضاء والمقاضاة فى الأمور الدينية بين المسلمين تتعرض لمشكلات عويصة يستعصى حلها ، وذلك لعدم تحديد المسئولية فى جهة من الجهات ، اذ الأمور كانت نسبية الى حدما .

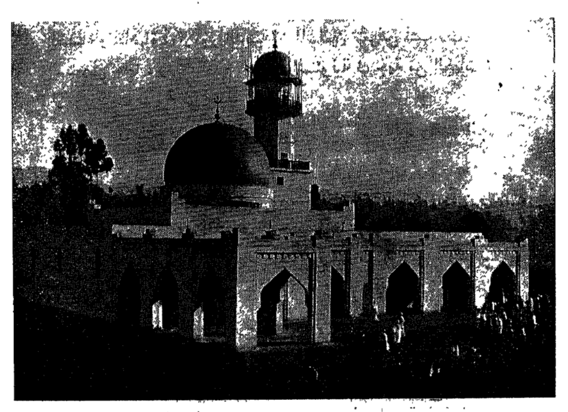
مما كان ينتج عنه كثرة المشاق من تسلسل المسائل ، وتعدد الجهات غير الرسمية التى لم يكن لديها فصل الخطاب .

هذه حال المسلمين فى عرض مشكلاتهم الدينية . ولم يكن يدور بخلدهم أن من ورائهم ناقدا بصيرا جبل على نشر العدالة وحب المساواة فلم ترق هذه الحالة فى نظره ولم تتمش مع تطورات الزمن ، ولم تساير تلك النهضة التى قادها اليها جلالته .

لذا فقد أصدر أمره الكريم فى ٣٠ من ابريل سنة ١٩٤٢ بانشاء المحاكم الشرعية الاسلامية فى جميع الأماكن التى تدعو الظروف الى انشائها ، وتملى الأسباب اقامتها ، تسهيلا للمسلمين فى علاج مشكلاتهم الدينية . ونص على أن تكون المحكمة العليا فى عاصمة المملكة بأديس ابابا . وهاهى ذى المحاكم تؤدى رسالتها ، وتملأ حيزها فى الوجود ،

وتثلج صدر بنى الاسلام فى مملكة اتيوبيا، وتشيع فيهم عدالةامبراطورهم وتقذف فى قلبهم حبه . فهى بحق لفتة كريمة ان دلت على شىء فانما تدل على ما يتحلى به جلالته ، وتتسم به ذاته من العدالة والتسامح الدينى والمساواة بين أفراد الشعب فى الحقوق والواجبات .

وان المحكمة العليا الشرعية قبلة المسلمين فى العاصمة لتعد درة فى تاج ملكه ، ومفخرة فى سجل حياته . ويرأسها الآن نخبة من العلماءالأجلاء الذين تمكن الدين من قلوبهم ، واستقر الاسلام فى أفئدتهم ، حتى شع فيهم نوره ، وبسطوا على الناس جناحا من العدل ، وغمروهم بفيض من الرحمة . هذه النخبة المباركة ، والصحبة المطهرة هى حضرة صاحب



الجامع الكبير بعاصمة « اديس ابيا »
وقد ساهم جلالة الامبراطور فى بنائه بنصيب موفور

الفضيلة قاضى القضاة الشيخ عبد القادر محجب رئيسا ، وهو من أهالى اريتيريا من بلدة كرن . وعضوية فضيلة الشيخ أحمد عبد الرحمن وفضيلة الشيخ سلطان جميل وهما قد تلقيا علومهما بالأزهر الشريف .

وناهيك باستقبال المسلمين فى اتيوبيا لهذه اللفتة الكريمة وهذا التوجيه السامى . فقد استقبلوها بالبشر والسرور ، مما طمأن نفوسهم ، وأثلج صدورهم ، وقرت به أعينهم . بحسن توجيه السياسة فى أمتهم ، ونشر العدالة فى سائر مملكتهم . وحسبك ذلك الأثر الكبير ، والصدى العظيم ، الذى عم العالم الاسلامى ، لهذا العطف السامى من جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول على رعاياه المسلمين .



فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « عبد القادر المحجب »
رئيس المحكمة العليا الشرعية الاسلامية « باديس ابا »

فقد اهتزت قلوب المسلمين اجلالا واكبارا ، وامتلأت جوانحهم فرحا واستبشارا ، وفاضت نفوسهم محبة وولاء . فاذا برسائلهم تترى تحمل فى طياتها كل معانى الاجلال ، وأسمى آيات الشكر ، وأنبل عبارات الثناء . فقد أرسل حينئذ صاحب السمو المرحوم الأمير عمر طوسون من مصر الى جلالته خطابا يشكره فيه على موقفه الجميل من رعيته المسلمين ، وما حققه لهم من عدل شامل ، وأمل باسم . قال فى رسالته — حسبما نشرته جريدة الأهرام المصرية :

« فهذا الخبر السار قد أثلج صدورنا ، وارتاحت له نفوسنا أشد الارتياح . وهو من جهة أخرى ضرورى ولائق أشد اللياقة بمكانة امبراطورية عظيمة كامبراطوريتكم ، تضم بين جنبيها ملايين عديدة من المسلمين ، لهم حقوق يجب أن تراعى مع حقوق سائر سكان الامبراطورية. وسنسجل هذه المآثر العظيمة فى صحيفة جلالتكم المجيدة ، وتكون داعية الى ثناء المسلمين عليكم فى مشارق الأرض ومغاربها . وخاصة فى بلادكم المترامية الأطراف . وسببا فى الالتفاف حول عرشكم المجيد . وانا نرفع الى مقامكم الكريم أجمل وأسمى الشكر على هذه الحكومة التى ضمنت العدالة والمساواة للرعية المسلمة فى اتيوبيا وسائر بلاد الحبشة » .

الامضاء

عمر طوسون

***

فيالها من سماحة كريمة لشخصية عظيمة ، ان دلت على شىء فانما تدل على اتساع فى الأفق والتفكير ، ونمو فى الأدراك والتقدير وتحليل لتلك الذات التى لا تحمل فى نفوسها الا الحب والاخلاص للشعب على

السواء ، لا فضل لأحد على أحد . الكل عنده بنو وطنه ، القـانون يشملهم ، والأمة تجمعهم ، والملك العظيم يحكمهم .

هذه أيها القارىء الكريم صفحة ناصعة ، ويد بيضاء ، ونعمة من نعم جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول تتبين منها مقدار ما حباه الله من فضل ، ووهبه من حكمة وعدل .

الفصل الثالث عشر

اريتـــيريا

شاء الله سبحانه وتعالى . وقضى وقدر . وأمر ونفذ . أن توضع بين يدى جلالة الامبراطور المعظم هيل سلاسى الأول أمانة التاريخ، فقد اتجهت اليه القلوب ، واشرأبت نحوه الأعناق ، وتاقت له النفوس . قلوب الأمـة الاثيوبية . ونفوس تلك الدولة الفتية . وأعناق هذا الشعب الأمين . اتجه الجميع اليه فى لهفة وشـوق مترقبين عودته . منتظرين أوبته . آملين فى اشراق شمسه فى أفق اثيوبيا . وطلوع فجره فى محيط المملكة . وها هو ذا قد عاد يحمل معه نهضة جديدة . وعهدا سعيدا . ونصرا مؤزرا مما جعل كل اثيوبى يدعو ويلح فى الدعاء . ويرجو ويمعن فى الرجاء . ويرفع يديه الى الله ضارعا . وكفيه لربه خاشعا . سائلا مولاه أن يتم نعمته . ويظهر فضله على يد قائد الامة ومنقذها الذى حقق لها ما تتمناه، وأوصل لكل اثيوبى حقه وهواه ، من عيشة راضـية ، وحياة حـرة كريمة ، وسعادة وطمأنينة ، تحت ظلال الحرية الوارفة ، وربوع الأمن والسلام ، ولواء المجد والرفعة ، وسماء العز والشرف .

وان الهمة العالية . والنفس الكريمة . لا تقف أطماعها . ولا تحد رغباتها . ولكنها مقدامة وثابة . تواقة الى العلا . مشرئبة الى المجـد . كلما اتجهت الى ناحية وكتب لها فيها التوفيق . والنجـاح والتحقيق . سعت الى أخرى . أكثر منها علوا . وأنبل منها غاية . وأسمى منهـا معرفة . وأكثر منها سدادا . وهكذا كانت نفس الامبراطور العظيم منذ

توليه عرش اتيوبيا المجيد . فقد أصبح يشعر فى هذه المرحلة التاريخية الهامة بأن عليه واجبا يجب اداؤه . ودينا يلزمه وفاؤه . وحقا يكرس له همته . ويوجه له فكرته . وعملا شاقا بدأه يلتزم اتمامه . وأملا قويا يجيش بصدره ويختلج فى نفسه . يتمنى تحقيقه .



صاحب الجلالة الامبراطور المعظم هيل سلاسى الأول يحيى شعب اريتريا وبجانبه صاحبة الجلالة الامبراطورة منن

هذا الأمل ، وذلك الحق والواجب ، هو موضوع ارتيريا واعادتها الى أحضان الامبراطورية الاتيوبية ، فان فى عودتها احقاقا للحق ، واعادة المياه الى مجاريها . ووضعا للامور فى نصابها . واعطاء القوس باريها . ورجوعا بالحق الى أهله . فان العلاقة التاريخية والجغرافية . والروابط الجنسية والصلات المتوطدة بين البلدين منذ أقدم العصور . هى التى تنطق وحدها بلسان الحقيقة فى تحقيق هذه الغاية ، وعدالة هذا المطلب وفائدة ذلك الأمل الذى يحقق للبلدين ما تصبو اليه نفوسهما من عزة

ورفعة ، ومجد وسؤدد ، ومحبة واخاء ، فهم الذين عرف كل منهم أخاه، واطمأن اليه ، ووثق فيه وأصبح يأتمنه على حياته ومصيره . وأنّى لأمة كأريتيريا أن تجد شعبا وفيا لها أمينا على مصالحها ، ومليكا يرعاها حق رعايتها ، كشعب اتيوبيا العظيم ، ومليكه العاهل الكبير .

كل هذه العوامل ، وتلك المعانى ، تمثلت أمام جلالته . وحفزته على السعى نحو تحقيق هذه الغاية . واظهار هذه الوحدة التى تتوق اليها النفوس . ولقد بدت المسألة أمام جلالته تقترب تدريجيا نحو الهدف ، وتدنو من المرمى . لأن الألفة والوئام التى نصبتها الطبيعة . لتربط بين أجزاء البلاد تقويها هذه الصفات التى انطوت عليها نفوس الأتيوبيين من الحب والوفاء ، والمودة والاخلاص ، والتفانى فى سبيل الواجب . واجب كل منهم لأخيه . لتعتبر عاملا من أهم العوامل فى انجاز هــذه المطالب العادلة ، وتحقيق هذه الغاية السامية ، وذلك المقصد النبيل ، وهذا الأمل التى فاضت به نفوس الشعب الاريتيرى . بعد أن ظل كامنا فيها حقبة من الزمن ، ومدة طويلة من الدهر ، فهو الذى جاهد وناضل ، واستبسل فى الدفاع عن حق آمن به ، ووحدة عمل لها ، مما جعله يتوق الى الحرية التى لا يراها الا فى اتحاده مع شقيقته اتيوبيــا تحت تاج امبراطوريتها العريقة المتناهية فى القدم .

وأمامك أيها القارىء الكريم . دليل واضح . وبرهان ساطع . وحجة قوية على ذلك الحب الذى يكنه شعب اريتيريا للاتيوبيين ، الذى عندما بدأ الاعتداء الايطالى على اتيوبيا كان الاريتيريون اذ ذاك تحت امرة المستعمر الايطالى ، يحاول اكراههم على ما يرضون ، واجبارهم على ما لا يريدون .. أتدرى ماذا حصل — رغم ما كان عليهم من حراســة وتشديد ؟ — كان الوطنيون منهم يفرون من صفوف الجيش الايطــالى

وينضمون الى اخوانهم الاتيوبيين ، ليحاربوا العدو المشترك جنبا الى جنب ... أو ليس فى هذا أكبر دليل على عظيم حبهم ، وجميل اخلاصهم نحو اخوانهم ؟ . وضعوا أرواحهم على أكفهم ، وهانت عليهم حياتهم وأولادهم ، وعرضوا أنفسهم للهلاك ، وذواتهم للعقاب ، ففروا من صفوف العدو — لا جبنا ولا خوفا — ولكن استجابة لنداء الضمير الحى الذى دفعهم ، وتعاونا مع اخوان لهم آمنوا بحقهم ، وشعروا بظلمهم كل ذلك كان دافعا لهم على الانضمام الى اخوانهم . وقد عرف جلالة مليكنا ذلك كله فحفظ لهم الجميل . واستكن فى قلبه حبهم . واستقر فى فؤاده تقديرهم . وذكر لهم تلك المواقف المشرفة فى تاريخ الوطن ، وهذه المتاعب الجمة التى لاقوها . وهذه الطرق الوعرة التى سلكوها فذللوها . وتلك المفاوز الشائكة التى خاضوها . والصحيفة البيضاء الناصعة التى بأيديهم خطوها وسجلوها . وتلك الجرأة والشجاعة التى أظهروها . يوم أن تفرقوا وانصرفوا عن العدو تاركين وراءهم الأموال والأولاد ، والزينة والمتاع ، الى جهة مختلفة . وناحية متباينة . فترة الاحتلال . وأيام الاستعمار .

وقد قابل جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول هذه الأعمال الجليلة. والتضحيات الهائلة . والجهود الجبارة التى بذلوها فى سبيل التاج ، باعتبارهم مواطنين اتيوبيين ، بجميل الثناء ، وعظيم التقدير الذى يستحق النعم والآلاء .

هذا ، وقد سرت فى أريتريا روح عالية . وأصبحت تحس باحساس واحد ، وتشعر بشعور واحد . ذلك الاحساس وهذا الشعور هو ضرورة اتحاد اريتيريا مع أمها الكبرى اتيوبيا .

وقد وجد هذا الصوت بدوره قلوبا واعية ، وآذانا صاغية ، فكانت

الاستجابة الكاملة ، والموافقة التامة لدى الشعوب الحية المحبة للحرية ، والمؤيدة للسلام .

بهذا العمل الجليل طوى الزمن صفحة مليئة بالآلام . وسلسلة من المآسى ، كانت مخيمة على الجزء الشمالى من اتيوبيا منذ سبع وستين سنة تقريبا . وذلك بفضل سعى جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول — كما أسلفت . ومجهوده الجبار . وتضحيته الغالية وبذله المشكور لوقته الثمين فى تحقيق ذلك المطلب السامى ، فقد كرس جهوده ، وخصص جزءا كبيرا من وقته فى حياته الغالية ، وعمره المديد ، لتحرير جميع أبناء شعبه ، وتوفير السعادة لهم . وتخليصهم من الدخيل الغريب . والأجنبى البغيض . الذى لا تجمعه بهم صلة . ولا تربطه واياهم رابطة . ولا تؤلفه معهم مودة لا من قريب ، ولا من بعيد . وانما هو الطمع والجشع وحب الرياسة والاستعلاء لدول أغراها الهوى ، ودفعها الشيطان ، وأمات ضميرها ، وأفقدها احساسها ، فاستعذبت اذلال الآمنين ، واستلزمت احتلال المسالمين ، وأوقعوهم فى حبالتهم ، وقيدوهم بقيودهم ، الى أن تمكن جلالة امبراطورنا من اعادة عزتهم ، وتحقيق وحدتهم ، واجتماع شملهم .

وها هى ذى الساعة الفاصلة تدق . واللحظة الحاسمة يجود بها الزمن ، فتحقق الأمل . وتظهر الوحدة على مسرح الحياة . ماثلة للناظرين . فقد أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارها الحاسم باتحاد ارتيريا مع اتيوبيا اتحادا (فيدراليا) تحت التاج الاتيوبى . وأعلن جلالة الامبراطور المعظم هيل سلاسى الأول فى اليوم الثانى من ديسمبر سنة ١٩٥٠ قبول قرار الأمم المتحدة بضم ارتيريا الى اتيوبيا بحكم (الفدرالى) .

انه لنصر محقق ، وظفر مؤزر ، حققه جلالة مليكنا بعظيم سـعيه ، وجليل مجهوده . وانه لأمل تنشده كلا البلدين ، ورغبة يتمناها الشعب الارتيرى . تجنبت البلاد بقبوله شر التسويف والاهمال ، والوعـد والامهال . وقد تحققت تلك الرغبة ، وظهرت هذه الحـكمة فى قبول جلالته الوحدة المقيدة فى خطابه الرائع ، وبيانه الرسمى الذى أذاعه على أبناء شعبه حيث قال :

« ان هيئة الأمم المتحدة ، باتخاذها هذا القرار ، قد اعترفت اعترافا صريحا بحقوق اتيوبيا الشرعية فى اريتيريا . كما انها نزلت عند رغبة اكثرية الشـعب الأريتيرى الذى طلب الانضمام الى اتيوبيا » .

ثم أفصح جلالته الأمر عن الطريقة التى حلت بها الجمعية العمومية مشكلة اريتيريا من أنها لم تكن لترضى مطالب آكثرية الاريتيريين الذين كانوا ينادون بالانضمام الى اتيوبيا بدون قيد ولا شرط . كما أنها لم تحقق جميع رغبات اتيوبيا .

« ومع ذلك رأينا ان الواجب تجاه الشعب الاتيوبى والاريتيرى يدفعنا الى قبول ذلك الحل . لأننا أدركنا بعد مناقشـات دامت ثلاث سنوات ان هذا الحل وحده هو الذى سيظفر باغلبية ثلثى أصوات أعضاء الهيئة فى انهاء المسألة الأريتيرية . فلو رفضنا هذا القرار لعرضنا المسألة لتسويف آخر وتطويل مسافة بعيدة فى نيل الحقوق التى طالبنا بها كاملة غير منقوصة » .

ثم تحدث جلالته عن الحوادث الدامية التى وقعت فى اريتيريا بسبب الآراء السياسية المتخلفة قائلا :

« ان الانسان لا ينال حقـــه باراقة دماء الآخرين ، وباستعمال العنف ، لأن هناك طرقا قانونية تضمن لكل انسان حقوقه المشروعة . فما على الشعب الآن الا ان يخلد الى الهدوء والسكينة ، وأن يبتعد عن كل ما يعكر صفو الأمن والطمأنينة فى البلاد ، ثم الاتجـاه الى مباشرة أعماله ومصالحه التى تعود على الوطن بالخير والبركة » .

« وعلى الاريتيريين أن يتعاونوا مع الادارة المحلية فى حفظ النظام حتى تنتهى مدة فترة الانتقال التى قررتها هيئة الأمم المتحـدة فى (١٥ سبتمبر ١٩٥٢) » .

ثم شكر جلالته جميع أعضاء وفود الدول الذين أيدوا اتيوبيـا فى مطالبها العادلة وصوتوا بجانبها فى المجلس .

واختتم جلالته كلمته بالدعاء الى الله أن يشمل العالم الانسانى الأمن والرخاء والسلام .

هذا . وقد كان قرار مجلس الأمن ينص على أن تبقى اريتيريا مدة فترة الانتقال تحت الادارة البريطانية .

* * *

هذه صفحة خالدة تنطق بفضل عظيم لملك كبير عن مجهود بالغ ، أداه فى سبيل تحرير شعب أبىّ وفىّ أمين .

وانها لتعد مرحلة حاسمة ، وتجربة نافعة فى تاريخ اتيوبيا الحديث ، بل فى تاريخ الشعوب الحرة جمعاء . فيا لتلك الجرأة . وهذه الوثبة التى أظهرها الشعب الاتيوبى ومن ورائه ملك يسنده ، وقائد يحميه . رفع صوته فى العالم الحر . وأعلى شأن وطنه وأسمى مركزه . ووصـــل

شماله بجنوبه . وحقق رغبة طالما تاقت اليها نفوس الاتيوبيين والاريتريين المخلصين .

* * *

ان العالم اليوم يتكتل ، وان أقوى الحكومات ، فى أرقى الدولات ، تعمل جاهدة على أن تربط نفسها بغيرها من مثيلاتها ، أو ممن دون مثيلاتها ، بأحلاف تجعلها كتلة متماسكة ، مرهوبة الجانب ، مهـوبة الحرم ... كل أولئك مع تباين العناصر ، واختلاف الآمال . فما بالك بأمة واحدة متحدة العنصر ، متحدة الأمل ، متحدة الرجاء فى حاضرها ومستقبلها ، كالأمة الاتيوبية الاريتيرية .. ؟ أو لم تكن هذه أحق بأن تتكتل — وقد خلقها الله فعلا كتلة واحدة ، من طينة واحدة ، وروح واحد ، وقلب واحد ، ينبض بأمل مـوحد .. هـو أن يحيا الاخوان الشقيقان : الاتيوبى والاريتيرى ، على أرض الوطن ، متـلازمين ، متعاونين ، مكافحين كل دخيل ، حتى تظل البلاد لأهلها ، مستظلة بعرش امبراطورها ، الذى حقق الهدف ، وأوفى على الغاية فحفظ المجد والشرف ؟؟

الفصل الرابع عشر

وفد أرتيريا فى عاصمة الامبراطورية الأثيوبية « أديس أبـا »

ان الحديث عن هذا الوفد العظيم الذى حضر الى « اديس ابا » قبيل انتهاء فترة الانتقال ليقتضينا أن نتكلم عن حالة البلاد ابان هـذه الفترة ، اذ فى غضونها كانت القلوب تواقة الى انتهـاء تلك المرحـلة الحاسمة التى تطوى بها صفحة من تاريخ ارتيريا وتستقبل صفحة جديدة مملوءة بالأمل الذى طالما انتظره الارتيريون وسعوا الى تحقيقه منذ عشرات السنين ، وكأنى بهم وهم يعدون الليالى ، ويترقبون مـرور الأيام . ويتمنون تلك اللحظة التى تتحقق فيها وحدتهم ، ويظهر فى واقع الحياة أملهم .

فى هذه الفترة العصيبة ، فترة الانتقال ، وقبيل انتهائها الذى حدد له الخامس عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٢ حضر ذلك الوفد الى عاصمة البلاد . وفد يمثل ارتيريا مكونا من (آتو تدلى بايرو) رئيس الجمعية التأسيسية ، (والشيخ على موسى ردآى) وكيلها ، والمسيو (ادوارد مأتينزو) مندوب الأمم المتحدة ، والمستر (كمين) الحاكم العام لادارة ارتيريا ، حاملين معهم الدستور الارتيرى الجديد ، بعد أن وافقت عليه الجمعية التشريعية فى ارتيريا ، ليصدق عليه جلالة الامبراطور هيـل سلاسى الأول مصادقة نهائية .

وانه ليوم ميمون مبارك ذلك اليوم الذى صدق جـلالته فيه على

الدستور فى مقره الملكى باديس اببا . ذلك اليوم هو الحادى عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٢ . فما أعظمه من حفل جمع كبار رجال الدولة ورجال السلك السياسى الأجنبى .

ومما يشرف هذا اليوم ، ويزيد فى بهجته ، تلك الدرر الغالية ، والنصائح السامية ، والتوجيهات العالية ، التى وجهها جلالته فى خطابه التاريخى الى الشعب الذى حرم من لذة الحرية سبعة وستين عاما ، وكان جديرا بالأمة حقا أن تقارن طلقات المدافع بمقدار السنين التى حكمت فيها ايطاليا اريتيريا .



جلالة الامبراطور يوقع ميثاق الاتحاد الفيدرالى مع اريتيريا ويرى وزير العدل الاثيوبى طها فى تأزاز ولدجرجس وهو يقدم الميثاق وبجانبه وفد اريتيريا

وان حق للأيام أن تفخر بما يقترن بها من مناسبات تخلد ذكراها . فان أولى الأيام بالفخر والتقدير هو يوم الخامس عشر من شهر سبتمبر

١٩٥٢ ميلادية ، فانه الأمل المعقود ، والمأرب المرتقب ، واليوم المشهود ، فكم اشرأبت اليه الأعناق ، واشتاقت لمقدمه القلوب . اذ بانتهائه يودع الشعب عهدا ان ذكره فانما يذكره للتاريخ ليعدد مآسيه . ويجد فى مستقبله الزاهر بعد هذا التاريخ ما يسره ويواسيه .

فى هذا اليوم تسلمت حكومة حضرة صاحب الجلالة الامبراطور ممثلة فى معالى نائب جلالة الامبراطور (بتورداندراجى مساى) شئون الادارة الخاصة بها — كما نصت على ذلك الاتفاقية الدولية فى مجلس الأمن .

* * *

تلكم هى الاجراءات الرسمية ، والصيغ التشريعية القانونية ، مجاراة للعرف الدولى ، التى بها تم — رسميا — اتحاد الشطرين ، والتئام شمل الأخوين . وكانت اجراءات ، وكانت صيغا وتشريعات لا بد منها ، لكن الواقع والحقيقة قد سبقا كل أولئك ، فالقلوب من قبل كانت متحدة ، والأفئدة — بل الأرواح والدماء — كانت ممتزجة مؤتلفة ، وقد باءت كل حيل الأجانب المستعمرين بالخيبة والهزيمة ، أن تجعل من العنصر الواحد عنصرين ، أو تشطر الأمل المجتمع شطرين ، فالحمد لله أن زالت المحنة ، وانكشفت الغمة،بفضل من جلالة الامبراطور سجل بالشكر ، وانه لعمل جليل خالد على الدهر .

أتدرى أيها القارىء الكريم لم عظم الشعب الأبى هذا اليوم التاريخى ؟ لأنه اذا ما غربت شمسه أفل فيه نجم دولة . وسطع نجم أمة . أفل نجم الأعداء . وسطع نجم الأشقاء . ورفرف العلم الاثيوبى على تلك السارية التى كان العلم الأجنبى يرفرف عليها منذ سنين . فياله من حفل رسمى كان جديرا حقا بالاعجاب والتقدير . وخليقا بالفرح

والسرور . أنزل العلم الأجنبي . ورفع العلم الاتيوبى ، وبارتفاعه ارتفع صوت الحق ، وهبط صوت الباطل . والحق مهما طال عليه الزمن ، أو مرت به السنون ، لا بد أن يناله أهـله ، ويتحقق لطالبيه ، فانه السلاح القوى المتين . والصخرة التى لا يقف أمامها أى عظيم . فان عاند عدو ، أو تجبر مستعمر ، فانما هى حقبة من الزمن ، وحفنة من الأيام أو السنين . ثم لا يلبث الحق أن يظهر على البهتان ويعلو على الباطل فيزهقه « ان الباطل كان زهوقا » .

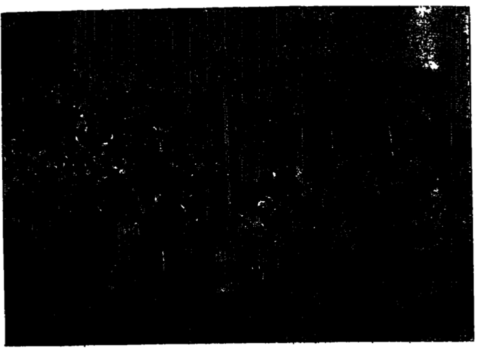


صاحبة السمو الأميرة « تنانى ورق » كبرى كريمة جلالة الامبراطور . ومن خلفها سعادة قرينها نائب جلالة الامبراطور عند نزولهما من الطائرة فى اسمره عاصمة اريتيريا

« وفى استقبالهما رجال السلك السياسى الأجنبى والشعب »

وانه ليوم تاريخى فى اريتيريا ، تمثلت فيه مظاهر الغبطة والسرور ، وظهرت فيه علامات الفرح والحبور ، على جميع أفراد الشعب الذى طرب لهذا الحادث الجلل ، الذى خفقت له القلوب ، وابتهجت من أجله

النفوس ، ونادت فيه الألسنة تلك الطبيعة الزاهية قائلة : « ازدهرى يا سماء بنجومك . واشرقى ياأرض بمصابيحك . وتبسمى أيتها الطبيعة فى ثغورك . فقد تنفس الشعب الصعداء . وحقق الله له الرجاء . واستجاب فيه الدعاء . فشكرا لمولانا خالق الأرض والسماء » .



فى الحفل التاريخى باسمرة يرفع العلم الاتيوبى الخالد وينزل العلم الأجنبى الذى هو رمز المحتل الغاصب

حق للأمة أن تحتفل هذا الاحتفال المهيب لهذه المناسبة السعيدة ، وهذا الحادث التاريخى الذى شاهده الكثير من العظماء . وقد كان فى مقدمتهم صاحبة السمو الامبراطورى الأميرة (تنانى ورق) قرينة معالى نائب الامبراطور فى اريتيريا . ومندوب الأمم المتحدة السنيور (ادوارد ماتينزو) والحاكم الادارى الانجليزى (المستر كمين) وآتوا تدلاى بايروا « دجزماج » رئيس الجمعية التأسيسية . (والشيخ على موسى ردآى)

وكيل الجمعية ، وجمع كبير من رجال الدين والأعيان . وقد كان يوما مشرقا فى تاريخ اريتيريا حقا اهتز من أجله محبو الحرية فرحا . وفاضت قلوب الأمم المحبة للسلام بشرا وطربا ، فاذا ببرقياتهم تترى ، وبأصواتهم تعلو بالنداء . نداء الحق الذى أنطقهم بوحى من فرحهم وشعور من سرورهم ان قد أنجز الله وعده ، وحقق للمخلصين نصره . وهزم العدو وجنده . فمن ملوك العالم الى رؤساء الجمهوريات والهيئات . الكل يدلى بدلوه فى الدلاء ليشارك الأمة الارتيرية والشعب الاتيوبى ذلك السرور البالغ ، والفرح الفياض بمناسبة التوقيع الرسمى لاتحاد اريتيريا مع اتيوبيا .

ويجدر بنا أن نذكر أن من بين هذه البرقيات التى رفعتها الهيئات تلك البرقية التى كان لها وقع عظيم ،فى النفوس . وأثر كبير فى القلوب ، وصدى ملموس لدى سائر المواطنين . ألا وهى البرقية التى رفعها الطلبة الاتيوبيون بالأزهر الشريف بالقاهرة الى مقام حضرة صاحب الجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول ، معربين عن ولائهم وسرورهم ، مظهرين بهجتهم وفرحهم بهذه المناسبة السعيدة ، مقدرين اخلاص مليكهم وجهود عاهلهم وسعيه الحثيث وحرصه البالغ على تحقيق الخير لشعبه ، وتوطيد المحبة بين أطراف مملكته وشمول الكل بمزيد من عطفه وعظيم من رعايته .

وهاك نصها :

« حضرة صاحب الجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول امبراطور اتيوبيا واريتيريا . طالت حياته ذخرا لبلاده وأمته » .

« بمناسبة اندماج الشعب الأريتيرى مع الشعب الأتيوبى . نرفع الى صاحب الجلالة امبراطور اتيوبيا واريتيريا والى الشعبين

الكريمين اسمى التهـــانى والتبريك ، وانه لتاريخ عظيم خالد يفتخر به الشعبان ، أهداه اليهما العاهل المفدى ، والأســد الغالب من سبط يهوذا » .

« والطلبة الأزهريون الاتيوبيون اذ يرفعون تهانيهم الى جلالته ، ويظهرون فرحهم لأبناء الوطن خاصة ، والى العالم الحر عامة ، انمـا يسجلون لامبراطورهم جهاده المتواصـل ، مؤمنا بحقوقه وحقوق شعبه الكريم ، كما طاشت عنــده اطماع الطامعين وانقطعت . اننا نذكر ما ضيه المحفوف بالعز والمجد الذى عنده حيل المستعمرين . كما نسجل الوطنية الخالصة التى ابت الا أن تضم جزءا من البلاد الشمالية لتسد ثغرها ، وتامن غدر الأعداء . وهجوم الفاشمين » .

« وقد ادرك جـلالة الامبراطور بنظرته البعيدة ، وفكرته العميقة ، ان عليه أن يجدد لأمته عهدا جديدا ، وتاريخا مجيدا ، يتطلع العالم اليه بعين الدهشة والاعجاب ، الى هذا الشعب المندفع الوثاب . وابى جلالته واقسم الا ان يرى شعبه وامته فى الصف الاول بين الأمم ثقافة وسياسة واقتصـادا . وبذلك حقق آمال هذا الشعب الكريم » .

الامضاء

طلبة الأزهر الأتيوبيون بالقاهرة

هذه ألسنة أبناء تلك الأمة العظيمة ، وهذا الوطن الكريم . وتلك أقلامهم تسجل على مسمع من العالم بصوت يدوى فى الفضـاء ذلك الفخر الذى حققه مليكهم . وهذا الفضل الذى نالته أمتهم ، ويباركون تلك الوحدة التى استجابت لها الضمائر ، وارتاحت لها نفوس الاريتيريين والاثيوبيين فى سائر بقاع الأرض ، على بعد الدار ، وشط المزار ، فهم معهم بقلوبهم ، يرقبونهم بأعينهم ، ويحسون باحساسهم ، ويشعرون بشعورهم . وهكذا استطاع الملك العظيم أن يغزو قلوب أبناء أمته ، ويتمكن منهم حبه ، فتراهم مندفعين لتأييده فى كل مناسبة ، وفى أى مـكان .

* * *

هل من سبيل الى السلام ؟

ان الدول الكبرى تأتى بأمرين متناقضين فى هذه الأيام ... فبيناهى تجأر بالدعوة الى السلام ، ترفع بذلك عقيرتها ، وينادى بها خطباؤها وكتابها فى أنديتها وصحافتها .. اذا هى فى الوقت نفسه تتسابق الى التسلح بصورة جنونية .. تفنى فى هذا السباق جل ميزانيتها ، وتهـدر أكثر ثروتها ومعظم ماليتها . وقد فاتهما جميعا أن « السلام » — بمعناه الحقيقى — ألفة بين الناس ، ومحبة البشر ، فان المحبة رباط آكد من القوة والعنف .

أهابك اجلالا وما بك قدرة علىّ ولكن ملء عين حبيبها

انما سبيل المحبة والألفة التواد والأخاء ، والعمل على اصلاح ذات البين حتى يلتئم الشمل ، ويتفق الجمع ، ويستريح البال .

وقد ضرب جلالة الامبراطور هيـل سلاسى — وهو من هو قوة بأس ، وشدة شكيمة — المثل فى ذلك أكرم المثل ، فبحكمته وحنكته ،

وبتؤدته ومرحمته ، جمع كلمة الشعب المتفرقة ، ووحد الأمة فى أقطار المملكة،ولم ترق قطرة دم،بل كان التراحم والتواد ، والتكاتف . وحق للشعب العريق السلام ، الذى حل محل الفرقة والخصام . وهكذا حقق جلالته مالم يستطع حتى اليوم كبراء السياسة ودهاقنتها تحقيقه ، ولسان حال جلالته يقول :

ووضع الندى فى موضع السيف فى العلا
مضر كوضع السيف فى موضع النـدى

الفصل الخامس عشر
الرحلة الملكية إلى اريتريا

بعد ان استجاب الله الدعوة . وحقق الرجاء . وبلغت الأمة الامل . ووصلت الى الغاية . واستقرت بها سفينة النصر ، الى ساحة العزوالشرف والمجد والسؤدد . وانتهت مراسيم حفلات التتويج التى قررت مصير اخواننا الاريتيرين ، واتحادهم مع بنى جنسهم واخوانهم وأشقائهم ، الشعب الاتيوبى الرشيد . تقرر أن يزور جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول بلدة اريتيريا — زيارة رسمية لأول مرة فىحياته — ليتوج بها أقواس النصر ، ودلائل العز ، ورموز المحبة . ويتفقد حال تلك البلاد التى من أجلها جاهد وناضل ، وقاتل واستبسل . فبدأت رحلته الميمونة المباركة لهذه البلاد الحبيبة بزيارته التاريخية فى صباح يوم الخميس الثانى من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٢ الساعة الثامنة والربع من مطار اديس ابيا الجوى ، حيث استقل جلالته وجلالة الامبراطورة (منن) يرافقهماصاحب السمو الامبراطورى الأمير (مكنن دوق هرر) والأمير (سهل سلاسى) وكبار رجال الحاشية الملكية ، متجهين الى مدينة (اكسوم) المقدسة (طيون) على معنى اسم السيدة مريم العذراء .

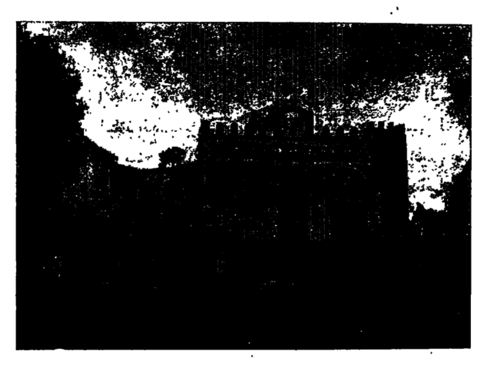
وتعتبر كنيسة أكسوم أول كنيسة مسيحية فى اتيوبيا .

ويقول بعض المؤرخين انه منذ سنة ٧٠ ميلادية ذهب رجل اتيوبى الى بيت المقدس يقصد الحج ، وكان على اليهودية ، ومر عند عودته الى وطنه بغزة ، والتقى هناك بالقديس فيلبس الانجيلى الذى لقنه مبادىء

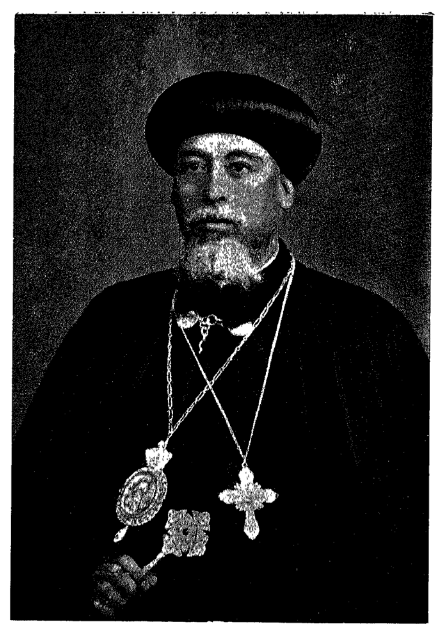
الدين المسيحى ، فصادفت الدعوة فى قلبه أرضا خصبة ، فنمت وترعرعت وما لبثت أن تفتحت وازدهرت ودنت قطافها ، فاذا بهذا الرجل الاتيوبى ينقل تلك التعاليم المسيحية الى كنيسة أكسوم المقدسة ، ويدعو أبناء وطنه اليها . ويحثهم على اعتناقها .

ويوجد فى مدينة أكسوم المقدسة هذه تابوت العهد الذى حمله علماء بنى اسرائيل منذ عهد (بلقيس) وابنها (منيلك) بن سليمان الحكيم ، وفيها توجد أيضا آثار نفيسة ، وكتب مقدسة مسيحية .

وأما دخول الدين المسيحى بصفة عامة الى اتيوبيا ، فانه — كما يحدثنا به التاريخ أيضا — كان فى القرن الرابع الميلادى .



كنيسة أكسوم المقدسة
وتعتبر أقدم كنيسة فى اتيوبيا



أول رئيس دينى وطنى من أبناء أتيوبيا يتولى رياسة الكنيسة
حضرة صاحب الغبطة « الانباباسليوس » رئيس اساقفة اتيوبيا

وانى أنقل ما ذكره صاحب جواهر الحسان نقلا عن دائرة المعارف ومجلة الهلال ، اذ يقول :

(وفى سنة ٣٢٦ من الميلاد على الصحيح و ٣٠٦ قبل الهجـرة ، دخلت الديانة النصرانية اليها « اتيوبيـا » وذلك أن « ميروبيوس » الصورى الشهير كان قد أرسل اليها جماعة من المستقرئين بقصـد التبشير بالانجيل فيها . فسطا عليهم بعض أهلها فقتلوهم ولم يبقوا منهم الا على ابنى أخى (ميروبيوس) المـذكور ، وهما : (فرومنتيوس) و (اديسيوس) وأتوا بهما الى مدينة (أكسوم) — التى كانت عاصمة هذه البلاد اذ ذاك — وأدخلوهما البـلاط الملوكانى بصـفة كونهما عبدين ، فكانا وسيلة لبث هذه الديانة فيه ، ولا زالا به الى أن توفى ملك هذه البلاد فصار (فرومنتيوس) معلما لابن الملك ونائبا عنه فى الأعمال ، الى أن بلغ أشـده وتولى بنفسه أمره ، فرجـع عند ذلك (اديسيوس) الى (صور) ، وتوجه (فرومنتيوس) الى الأسكندرية واجتمع ببطريكها الذى هو (اثناسيوس) المشهور ، وبعد أن أخبره الخبر عرض عليه ما يرجوه من نشر الديانة النصرانية فى البلاد الحبشية فمنحه فى الحال درجة (الأسقفية) وأصدر له أمرا بالتبشير بها فى هذه البلاد ، وكان ذلك سنة ٣٢٦ من الميلاد — ٣١٦ قبل الهجرة — وبذلك صار (فرومنتيوس)[1] أول أسقفها ، كما صار (أثناسيوس) أول بطريك قبطى أرثوذكسى لها . ولا زالت البطريكية القبطية مـن ذلك العهد ترسل لها مطرانا بعد مطران يكون له السلطة المطلقة فى سائر الأمور الدينية وما يتعلق بها من الأحوال الشخصية الشـاملة ، حتى لتولية ملكها الى الآن) . اهـ

---

(١) ويسمى الاتيوبيون (فرومنتيوس) هذا (ابا سلامة) .

ولما كانت رسالة جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول منذ تولى قيادة الأمة تستهدف دائما — كما قلت غير مرة — تحقيق أمانى البلاد وبلوغ غايتها من استقلال شامل وتقدم مطرد فى جميع نواحى حياة البلاد ، فقد وجه عنايته الى ناحية الكنيسة الاتيوبية ومدى ارتباطها بالكنيسة القبطية المصرية منذ تلك القرون الطويلة . وانى لست فى حاجة الى التحدث عن المراحل والتطورات التى مرت بها هذه المسألة منذ أن بدأت هذه المباحثات الرسمية بين الكنيستين ، لأنها مسألة دقيقة وتحتاج الى وقت كبير أيضا .

ولكن الذى يهمنى التحدث فيه هو أن هذه المسألة قد انتهت الى تحقيق الفكرة التى أرادها جلالته ، ومن ورائه الشعب الاتيوبى ، وهى استقلال الكنيسة الاتيوبية استقلالا ذاتيا بدون أن يؤثر فى علاقات الود والأخاء التى تربط بين الكنيستين منذ أجيال بعيدة .

وقد حقق جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول لوطنه بعمله هذا خدمة أدبية عظيمة الأثر ، كبيرة المغزى ، بعيدة المرمى . (مع احتفاظه بعقيدته) تضاف الى صفحات أعماله الخالدة التى سجل فيها الخير كل الخير لشعبه وبلاده .

ولا شك أن جلالته قد أتى فى هذا المضمار بما لم يأت به أحد من الأباطرة والملوك الاتيوبيين الذين سبقوه فى جميع العصور المختلفة .

هذا وقد تولى أول منصب لرياسة أساقفة اتيوبيا أحد أبنائها الكرام وهو حضرة صاحب الغبطة (الأنباباسيلوس) فى القاهرة سنة ١٩٥١ .

* * *

وتعهد جلالته دائما فى تحقيق الأمور ، واصابة الأهداف ،بالوسائل

السلمية الدبلوماسية ، كان تحقيق ماصبت اليه الأمة الاثيوبية ، وما رغبت فيه من رفع شأن كنيستها رفعا أدبيا ، بأن يكون لها استقلالها الذاتى .

أقول — تعهد جلالته بكل هذه الشئون وأمثالها ، تحقق الغرض فى هدوء وسلام ، بفضل حسن كياسته ، واتيانه الأعمال ، ومعالجته المسائل بحكمة ودقة تنتهى دائما الى النجاح والفلاح .

وتلك مزية لا يؤتاها الا عباقرة الرجال وأفذاذ الرؤساء .

فما أعظم هذا البلد الذى سجل الله له نصرا ، وكتب التاريخ له بمداد من الفخر ، واختصه جلالة امبراطورنا العظيم بزيارته الكريمة . وبعد أن انتهى جلالته من زيارته لهذه المدينة التى تعرف الواجب ، وتقدر الجميل ، بما أوتيت من صفات الصراحة والوفاء . والسماحة والاخاء . حيث استقبلته بما يليق بمركزه فى قلوبهم ، ومكانته فى نفوسهم . فقد كان استقبالهم رائعا دل على ما يكنونه له من حب وتقدير . غادر جلالته ذلك البلد الميمون (اكسوم) ترافقه حاشيته متجها شطر عدوة الشهيرة ، بموكبه الامبراطورى ، ليضع حجرا أساسيا للنصب التذكارى تخليدا لأبطال اتيوبيا الذين قتلوا فداء عن الوطن فى سنة ١٨٩٦ فى ميدان الجهاد والنضال ، والعز والشرف ، حيث كانت الحرب قائمة مع الايطاليين فى عهد الامبراطور العظيم (منيلك الثانى) الذى سطر هو وجيشه لاتيوبيا أنقى صفحة يعتز بها الشعب جيلا بعد جيل .

ذرية بعضها من بعض . وهذا الشبل من ذاك الأسد . فها هو ذا التاريخ يملى علينا شجاعة هؤلاء الأبطال الذين أدهشوا العالم فى جهادهم ، وحولوا أنظار الأمم فى دفاعهم عن بلادهم ، واستماتهم فى سبيل الظفر بغايتهم ، ووضعهم أرواحهم على أكفهم . وقد صدق من

قال : (احرص على الموت توهب لك الحياة) ، فقد وهبت لهم الحياة . وما الحياة الا حرية وانطلاق (الحرية هى الحياة ولولاها لعاش الانسان كالطائر فى القفص أو كالنزيل فى السجن) .

وصدق الشاعر :

لا تسـقنى ماء الحيـاة بذلة	بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحيـاة بذلة كجهنم	وجهنم بالعـز أكـرم منزل

فأنعم بهؤلاء الأبطال الذين أملوا على التاريخ صفحة تنطق بالفخر ، وتتكلم بالمجد . ويجدر بنا أن ننقل شهادة المؤرخين الذين انسـابت أقلامهم ، وانبرت يراعاتهم ، للكتابة لتحفظ للمجاهدين حقهم ، وتملى على الأجيال تاريخهم . فترى ذلك المؤرخ العظيم (صادق باشا المؤيد الضابط العثمانى) يقول فى كتابه « رحلة فى الحبشة » واصفا الجندى الاتيوبى الذى هز قلمه بشجاعته ، ونال اعجابه بطاعته لقادته فى ساحة القتال والنضال وميدان الوغى فى صفحة ٢١٣ من ذلك الكتاب :

« ان الجندى الحبشى ليس كبير الجثة . قوى العضلات . وانما هو كثير الجلد والصبر على تحمل المشاق والمتاعب . وهو موصوف بحق بهذه الميزة العظيمة التى لابد منهـا للجندى ، فهو يمشى طول النهار . ويقطع الوديان والجبال ، من غير أن ياكل أو يشرب ، ومن غير أن يستريح . فالجنود الحبشية تفوق الجنود الأوربية بكثير » .

وهذا كاتب آخر من الكتاب الأحرار هو الاستاذ (مسعد بولس) يسجل فى كتابه (الحبشة) صفحة ٣٦ ، ٣٧ . ما للجنود الاتيوبيين من الشهامة والمروءة والشجاعة فى الجهاد فيقول :

« لقد أجمع الرواة أن الأحباش شعب حربى شديد المراس . فالجيش يألف الطعن والنزال منذ صباه . وله صفات الرجل المجازف . الشجاع الجدى . الذى لا يخشى بأس العدو كائنا من كان » .

« فينقض عليه بغير وجل ، ويهاجمه حتى وهو أعزل ، لأن الموت والحياة عنده سيان متى كان فى موقف الدفاع عن شرفه وبلاده » .

وذلك كاتب يشهد على ملأ من الناس فيسجل بقلمه ما للاتيوبيين من صفات المهارة والشجاعة والتفانى والاستبسال هو (الاستاذ عبد الله) فتراه يقول فى كتابه (المسألة الحبشية) :

« الأمة الحبشية . هى أمة جندية ، جميع أفرادها على استعداد للقتال ، وهو حرفتهم وسجيتهم » .

ثم يقول :

« والأحباش أكثر العالم شغفا بالحروب ، واسرعهم قبولا لويلاتها . وقد دلت التجارب على أن الشعب الحبشى ان هو الا بركان ثائر يحركه الامبراطور بسبابته متى شاء . هكذا كان فى غارته على مملكة السنار ، وفى حربه للحملة المصرية التى كان يقودها السردار « محمد راتب باشا » فى سنة ١٩٢٢ ، وكذا فى واقعة « القلابات » سنة ١٣٠٦ ، وواقعة « عدوه » فى سنة ١٨٩٥ . أما القيادة العامة فللامبراطور نفسه » .

ويقول ايضا فى تقدير واعجاب :

« فما اجود الجندى بروحه عندما يرى مليكه يسير تحت قساطيل الجيوش للذود عن الأمة . ولا غرو ان هـــذا أعظم محرك لحماسة الأحباش فى حروبهم المتواصلة التى تكلل بالنجاح . »

ثم ذكر المؤلف المذكور فى مكان آخر المواقع التى خاض الاتيوبيون غمارها مع جيوش أجنبية فى فترات مختلفة . وكان النصر فى معظمها حليفا لهم .

« فأولا : موقعة (مقدلا) سنة ١٨٦٨ مع الانجليز وكان الفوز فيها للانجليز .

وثانيا : معركة (جندت) فى نوفمبر سنة ١٨٧٥ مع الجيش المصرى وكان الفوز فيها للاحباش .

وثالثا : معركة (فراع) فى مارس سنة ١٨٨٧ مع الجيش المصرى وكان الفوز فيها للأحباش .

ورابعا : معركة (كوفيت) فى سبتمبر سنة ١٨٨٥ مع الدراويش وكان الفوز فيها للأحباش .

وخامسا : معركة (دوجالى) (دوقعلى) فى يناير سنة ١٨٨٧ مـــع الايطاليين وكان الفوز فيها للأحباش .

وسادسا : معركة (فندر) فى خريف سنة ١٨٨٧ مـــع الدراويش وكان الفوز فيها للدراويش .

سابعا : معركة (وجر) فى أغسطس سنة ١٨٨٧ مع الدراويش وكان الفوز فيها للأحباش .

وثامنا : معركة (القلابات) فى مارس سنة ١٨٨٩ مـــع الدراويش وكان الفوز فيها للأحباش .

وتاسعا : معركة (كعاتت) فى يناير سنة ١٨٩٥ مع الايطاليين وكان الفوز فيها للايطاليين .

وعاشرا : معركة (سنعفى) فى يناير سنة ١٨٩٥ مع الايطاليين وكان الفوز فيها للايطاليين .

أحد عشر : معركة (امبا الاجى) فى ديسمبر سنة ١٨٩٦ مع الايطاليين وكان الفوز فيها للأحباش .

اثنا عشر : معركة (مقلى) فى ديسمبر سنة ١٨٩٥ . وينـــاير سنة ١٨٩٦ مع الايطاليين وكان الفوز فيها للأحباش » .

***

أو ليس هذا دليلا على قوة ذلك الجيش الفتى وبطولة هـــؤلاء الجنود المخلصين ؟ فانك ان أنعمت النظر فى هذه المعارك الفـــاصلة لوجدتهم فى حروب متواصلة ، لكن اليأس لم يجد سبيلا الى نفوسهم ، والملل لم يجد بابا يصل منه الى قلوبهم ، بل كانوا فى كل معركة مثال الشجاعة الفائقة ، والمهارة النادرة ، حتى حققوا لوطنهم ما يبتغيه كل مخلص لبلاده ، وكل محب لوطنه .

فحق للتاريخ أن يحفظ لهم هذه البطولة ويسجل فى صفحاته هذه الشجاعة ، وأرانى فى غنى عن الكلام فى هذا الموضوع مكتفيا بذكر هـــذه المقتطفات ، ففى ذكرها غنى عن افـــراد باب للجيش الاتيوبى الحديث فى عهد هيل سلاسى الأول وفى غيره من العهود السابقة .

عودة إلى الرحلة الملكية

سبق أن ذكرت أن جلالة الامبراطور العظيم هيل سلاسى الأول تفضل ووضع الحجر الأساسى للنصب التذكارى الذى أقيم تخليدا لأبطال اتيوبيا الذين استشهدوا فى ساحة الوغى سنة ١٨٩٦ فى الحرب الايطالية ، بين مظاهر الغبطة والسرور من أهالى عدوة وغيرهم من تلك المنطقة التى حظيت برؤية مليكها العظيم . ولقد غادر جلالته فى الرابع من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ البلاد بموكبه الرسمى قاصدا نحو الحد الفاصل المؤدى الى أريتيريا بمقتضى المعاهدة المبرمة بين اتيوبيا وايطاليا بعد انتصار الاتيوبيين فى عدوة انتصارا باهرا . فلما وصل الركب الملكى الحد الفاصل (مرب) ، استقبل استقبالا حارا يجل عن الوصف ، ويدل على مزيد التقدير ، وعظيم الوفاء ، من هؤلاء الناس الذين عرفوا فضله وقدروا جهاده . وكان فى مقدمة المستقبلين (بتودد اندراجى مساى) نائب الامبراطور فى اريتيريا ، (وآتوتدلا بايرو) رئيس المجلس التشريعى ، (والشيخ على موسى ردآى) نائب المجلس ، وعدد كبير من رجال الدين والأعيان وسفراء الدول الأجنبية ووزرائها .

وألقى كل من نائب الامبراطور (بتوددااندراجى مساى) و (آتوتدلابايرو) رئيس المجلس التشريعى كلمات الترحيب بين يدى جلالته فى تلك المناسبة السعيدة التى تحطم فيها آخر قيد من قيود الاستعمار البغيض ، بعد أن ظل جاثما فوق رءوس الأحرار سبعة وستين عاما .

ثم تفضل جلالته بالقاء كلمة وجيزة أمام هذا الجمهور الحاشد الذى امتلأت به جنبات الوادى على سعته ، فكان لها أعظم الأثر فى

نفس الشعب الارتيرى ، اذ شدت من أزره . وقوت عزيمته . وزادته اخلاصا على اخلاصه ، ووطنية فوق وطنيته .

ثم اتجه جلالته — وبيده مقص من الذهب الخالص — نحو الشريط الحريرى ، وهو على لون العلم الاتيوبى وكان ممدودا فوق القنطرة القائمة فى وادى (مرب) فقطعه . وعندئذ دوت الهتافات من الأعماق تشق عنان السماء . وعم البشر والسرور أبناء الأمة الواحدة الذين جمعت بينهم الطبيعة منذ زمن بعيد ، وحقق ذلك الامبراطور العظيم هدفهم ، وأعز أمانيهم ، وأسمى مقصد لهم ، ذلك الهدف وهذا المقصد هو وحدة البلدين وحدة (فدرالية) .

ثم وضع جلالته هناك أى فى وادى (مرب) لوحة نحاسية كتب عليها تاريخ ذلك اليوم المشهود . لتكون حافزة للهمم ، وموقظة للعزائم . ودافعة على الجهاد . وباعثة الى العمل والاتحاد . ولتكون عظة وعبرة ، ودرسا وحكمة لشباب المستقبل ورجال الجيل الجديد .

وعندما عبر جلالته وبجانبه الامبراطورة والأمراء والوزراء الخط الفاصل استقبلوا فى الضفة الأخرى أعظم استقبال من جانب الارتيريين الذين طال انتظارهم ، ونفد صبرهم ، متمنين هذا اليوم السعيد ، وتلك اللحظات التى كان لها فى نفوسهم أعظم الواقع وأبلغ الأثر .

وحينئذ التقى الاخوان ، وتعانق الشقيقان ، فى ظلال من العدل وارف ، وعلى بساط من الحرية ممدود .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

سار الموكب الملكى يشق طريقه بين الآلاف المؤلفة المحتشدة على جانبى الطريق المؤدى الى أسمرة من أبناء ارتيريا الذين حضروا من كل

حدب وصوب ليشاهدوا طلعة ابن اتيوبيا البار (هيل سلاسى الأول) محطم الاستعمار ، ومعيد الحرية ومحقق الاستقلال .

وعندما وصل الركب الامبراطورى مشارف أسمرة دوت الهتافات الحماسية المتواصلة فى جميع أرجاء المكان . وفى كل نبرة من نبرات الشعب المحتشد عهد وميثاق ، وحب ووفاء . ولقد كانت أسارير جلالته تنطق بما ملأ نفسه الكبيرة من حب وعطف وتقدير لهذا الشعب الوفى الأمين ، فما أبلغه من معنى يرمز الى الحب ، ويدل على العطف ، ويشير الى التقدير اشارة يعجز عن وصفها الكلام ، وتقصر أمام عظمتها الألفاظ . فهو الحب القلبى ، والسرور الفؤادى . الذى ملك قلبه ، وشغل فؤاده . فجعله يجاهد ويناضل من أجل هؤلاء الأمناء المخلصين .

وأطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة ، وحلقت الطائرات الحربية التابعة لسلاح الطيران الاتيوبى فوق عاصمة أسمرة ، وقد كانت أجراس الكنائس المختلفة تطلق ألحانها الشجية ، والأعلام الخفاقة ، والزينات المشرقة ، وأقواس النصر الشامخة ، والرياحين والورود المنثورة على الموكب من شرفات المنازل وسطوحها .

كل هذه المظاهر التى تجلت فى أسمرة انما كانت تنطوى على ما يكنه الشعب الاريتيرى نحو مليكه من محبة واخلاص ، وتقدير ووفاء .

وناهيك بفرح الأطفال والنساء ، فقد كان لا يقل عن بهجة الرجال وسرورهم . الكل غاد فى سرور ، ورائح فى حبور ، تنطق أسارير وجهه بمايحمله فؤاده من سرور بالغ وفرح عظيم . فما أعظمه من يوم تجلت فيه آيات المحبة ، وظهرت فيه علامات السرور والغبطة ، وما أجملها

من زيارة . ازدادت بها الرابطة . وقويت بها الصلة . وعظمت فيهـا الألفة . وتحققت بها الرغبة . وشعر من أجلها أبناء الأمة الواحـدة بما بينهما من عرى لا تنفصم ، ووحدة لا تنفصل .

وان التاريخ — اذ يسجل فيجعل هذه الزيارة فى صدد صـفحاته ، لما لها من عظيم الأثر فى توحيد شعب وألفة أمة أضحت قوة واحدة ، وسيفا مصلتا أمام كل عدو — ليسجل لأهل ارتيريا مآثر عظيمة لما قاموا به من حسن النظام ، وعظيم الترتيب أثنـاء حفاوتهم البـالغة واستقبالاتهم الرائعة وعواطفهم النبيلة التى أظهروها نحو المليك الذى سهر سنوات طوالا من أجلهم، وتحمل مشاق الاسفار لزيارتهم، ليقدم اليهم وثيقة المجد والخلاص، وعهد الوفاء والاخلاص، ليعيشوا فى وطنهم سادة أحرارا، يعملون بوحى من ضمائرهم، وشعور من أنفسهم، ورغبة تمليها عليهم ارادتهم، ما يحقق لهم السعادة ، ويجلب لهم العزة ، ويسبب الهناءة والرفعة .

ولقد كان لهذه الزيارة الكريمة كل معـانى الود والاخاء ، فقد جمعت بينهمـا ووحـدت كلمتهما ، وربطت شـملهما برباط من المحبة والوفاء .

ولقد ألقى الامبراطور كلمة قيمة ، فى المقر الحكومى حيا فيها الشعب الارتيرى وهنأه بما ناله من الحرية والاستقلال تحت التاج الاتيوبى . وقوبلت كلمته البالغة بالتجلة والاحترام من شعب اهتز قلبه لكلام مليكه المخلص الأمين .

واستمرت زيارة جلالته لأسمرة يومين استطلع فيهما أحوالها ، وشاهد معالمها ، وخالط بنفسه الكبير والصغير ، وعاش كأنه فرد من أفراد الشعب ، يحس بما يحسون به من ألم وأمل وفـرح وترح .

ويصبح والمدينة تمتلىء بكثير من الناس يعلو وجوههم البشر ،

ويرتسم على محياهم السرور وكانت أيام زيارته بينهم أعيادا تنفسوا فيهـا الصـعداء وتنسموا فيها ريح السعادة والهناء ، واسـتنشقوا عيد الحرية ، وشعروا فيها بلذة الاستقلال ، وشرف المجد ، وحيـاة العزة والسعادة .

وكنت ترى المـدينة وقـد أخـذت زخرفها وازينت ، وازدهرت أشجارها وأينعت ، وظهـرت للعـالم على أبدع صـورة وأجمـل حلة لم يعرف التاريخ لأسمرة يوما كأيام زيارته ، ولا مناسبة كمناسبة تشريف جلالته هذا البلد الأمين .

الفصل السادس عشر

زيارة جلالة الأمبراطور هيل سلاسى الأول لمصوع

فى اليوم السابع من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٢ واصل جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول رحلته لزيارة مصوع ، وقد مر الموكب الملكى فى طريقه الى مصوع ببلدة « سحاطى » وان لتلك البلدة الكريمة ، وهذه القرية العظيمة ، صفحة ناصعة ، وذكرا خالدا فى سجل التاريخ ، ومفخرة ليست لها وحدها ولكن ترفع من شأن اتيوبيا جميعها . لذا يجدر بنا أن نذكر شيئا عن موقفها الخالد المشرف ، وفاء لحقها وتسجيلا لفضلها .

فانه عندما احتلت ايطاليا ميناء مصوع فى الرابع من شهر فبراير سنة ١٨٨٥ ، وانتشرت جنودها فى جميع أطراف البلدة . بدأت تتقدم بجيوشها شيئا فشيئا الى أن وصلت شمال مصوع وجنوبها وغربها . ولما بلغ ذلك مسامع الامبراطور « يوهانس » رأى بثاقب فكره ، وصائب رأيه ، أن يوقف الايطاليين عند حدهم . أتدرى ماذا فعل ؟ وماذا دبر ؟ وكيف فكر ورسم خطته ؟

انه بعث اليهم الرأس (آلولا) على رأس جيش يبلغ عدده خمسة آلاف مقاتل . ولما علم الايطاليون بذلك أخذوا يحصنون (سحاطى) للدفاع عن أنفسهم ، وعلا وجوههم الخوف ، وارتسم على محياهم الهلع والاضطراب ، عند ما سمعوا زئير الأسود ، وعرفوا انقضاض الأبطال ، وهجوم الأجرار. ولكن — والحق يقال — ان الجنود الايطاليين قد دافعوا

دفاعا مجيدا،واستماتوا فيجهادهم واستبسالهم . وكأني بهؤلاء الجنود الخمسمائةالذين زحفوا لنجدتهم مرسلين من قبل القيادة الايطالية التى عرفت كيف وضع الاتيوبيون الخطط الناجحة لمقاومة هذه الحملة الاستعمارية وقد اشتبكوا مع تلك القوة الاتيوبية فى قرية (دقعلى) وهى قرية تبعد عن سحاطى عشرة كيلو مترات قبل أن يصلوا الى سحاطى لنجدة اخوانهم . وقد كان يقودهم القائمقام « خرستوفريدى » فقد اشتبك الفريقان فى قتال عنيف ، وجهاد مرير ، ودافع الايطاليون عن أنفسهم ، فلم يجد دفاعهم أمام قوة الاتيوبيين وايمانهم ، وصبرهم ، وجهادهم ، واستبسالهم ، واحتمالهم ، فقد هلك الايطاليون عن آخرهم ووقعت جميع معداتهم غنيمة فى يد الاتيوبيين الأبطال ..

واذن فلم يبق لتلك الحامية التى كانت معسكرة فى حصن سحاطى الا أن تولى الادبار ، تاركة أسلحتها ومهماتها ، بعد أن قض مضجعهم هذا الخبر ، وأدهشتهم تلك الهزيمة التى حلت بالقائمقام (خرستو) وقومه ، وذلك الانتصار الذى ناله الاتيوبيون الذين أفنوا أعداءهم ، وأهلكوا ذلك الجيش النزيل ، والعدو الدخيل . وكان عظيما حقا أن ترى القوات الاتيوبية فى اليوم الثانى « سحاطى » خاوية على عروشها ، تركها العدو جبنا ، وفر عنها خوفا وذعرا ، ولم يترك أثرا ، اللهم الا مؤنته ومهماته ، تلك التى فاز بها الاتيوبيون ، غنيمة باردة ، وفيئـا طيبـا ..

فياله من نصر عظيم ، وكسب كبير ، وفخر مجيد ، سـجله الرأس (ألولا) وجيشه لاتيوبيا بمقدار ما سجل من الخزى والعـار لهؤلاء الأعداء الذين فقدوا انسانيتهم ، وأصبحوا لا يؤمنون الا بالأطمـاع البشرية يسعون لتحقيقها ، وان كان فى ذلك ما يقلق الآمنين .

عودة إلى رحلة مصوع

هذا هو ركب جلالته يجوب هذه الأنحاء التى لها فى التاريخ صفحة مشرفة ، ومفخرة وأى مفخرة . حتى ينتهى به المطاف الى ثغر مصوع . وحدّث عن هذه البلدة وزينتها ما طاب لك الحديث ، فهذه شوارعها الرئيسية تتشح حلتها الجميلة البهية ، وتلك السفن الراسية على الميناء تزدان بقشيب الزينة وعظيم الدرر . وناهيك بالاعلام الخفـاقة التى ترفرف على المدينة فتحرك السرور الكامن فى القلوب والبهجة المستقرة فى النفوس . نفوس الأجانب والمواطنين ، الكل تملؤه الفرحة ، وتحيط به البهجة ، ويشمله الرضا ، ويعمه السرور . فيسابق الى اظهاره ، ويقدم للامبراطور العظيم حسن استقباله . وقد كانت مصوع بحق تبـاهى أسمرة من جميع الوجوه . هذا فضلا عما حبـاها الله به من مـوقع استراتيجى عظيم يجعلها قبلة النفوس ، ومحط الأنظار ، ومـورد الوفود .

وها هو ذا جلالته يستريح قليلا فى ذلك البلد الهادىء ، ثم يتوجه الى الميناء ليفتح ذلك الباب الذى كان مغلقا فى وجه اتيوبيا وهى صاحبة الحق المطلق فيه منذ زمن بعيد .

ما أعظم الفرحة . وأحسن البهجة وأشمل الرضا الذى ملأ النفوس بهذا الخطاب التاريخى الذى ألقاه جلالته فى هذا المكان الخالد . وتلك البقعة المحبوبة .

فقد قال جلالته :

« ان وقوفنا فى هذه اللحظة التاريخية على شاطىء الأجداد والآباء سوف يكون له أثر كبير لدى قلوب الاتيوبيين جميعــا . لأن اتيوبيا ، بعد جهــاد مرير ، قد تمكنت من الحصول على حقها المسلوب ، فاصبحت بذلك صاحبة السيادة على هذا المنفذ البحرى كما كانت فى الماضى » .

« ومنـــذ اقدم العصور كانت تتغـنى حكومات الدول وشـــعراؤها بمزايا البحر ومنافعه التى تعود على الانسانية من حيث انها سبب ارتباط الشعوب بعضها ببعض . وان الشعوب التى تعيش محرومة من هذه المزايا الانسانية والاجتماعية فانها لا يمكنها أن تعتبر نفسها دولة حرة كاملة الســيادة على قدم المســاواة مع غيرها من الدول فى شتى نواحى الحياة » .

« وقد قالت الملكة (اليزابث الأولى) ملكة بريطانيا فى القرن السادس عشر : ان البحر يجب أن يكون ملكا للجميع » .

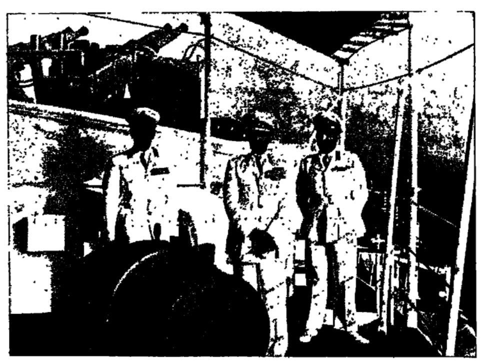
« ولهذا السبب قرر كبار رجال القانون العالميين أن يكون لجميع الدول الحـــق فى الحصول على منفذ فى البحر . ولهذا السبب نفسه كان قرار هيئة الأمم المتحـــدة الذى أصدرته باتحاد ايرتريا مع اتيوبيا اعترافا بحق اتيوبيا الطبيعى على المنفذ فى البحر لأنها قالت عندما اصدرت هذا القرار » :

« ان حل المشكلة الارترية يقتضى منا أن

ننظر بعين الاعتبار الى وجود جميع العلاقات الجغرافية والتاريخية والجنسية والاقتصادية التى تربط البلدين (اتيوبيا وايرتيريا) منذ أقدم العصور . ولا سيما النظر فى حق اتيوبيا الشرعى والحيوى الحصول على البحر » .

ثم قال جلالته :

« ان أهم الاعتبارات التى وصلنا اليها ـ كنتيجة لقرار الأمم المتحدة ـ هو اعادة ذلك المنفذ البحرى الينا مرة أخرى . لأنه الذى يؤكد وجودنا كأمة حية ذات تاريخ مجيد فى الأزمنة الخالية المتناهية فى القدم » .



جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول وعلى يمينه صاحب السمو الامير اسفاوسن ولى عهد اتيوبيا . وعلى يساره صاحب السمو الأمير مكنن دوق هرر . فى ميناء مصوع

وقال أيضا :

« وعلى بضعة أميال جنوبى مصوع توجد أيضا آثار أطلال لميناء (عدول) القديمة . التى كانت أعظم ميناء للامبراطورية الاتيوبية. وقد تغنى بها شعراء العرب فى الزمن القديم وذكروا سفنها التجارية ورماحهــا . حيث كانت حلقة الاتصال بين تجارة اتيوبيا والهند واليمن والحجــاز ومصر وغيرها من الدول المجاورة » .

« وفى القرن السابع عشر الميلادى انتقلت حركة الصـــادرات والواردات الى مصوع واستمرت على جانب عظيم محتفظة بمكانتها التجارية مدة ألف سنة تقريبـــا . وكانت الامبراطورية الاتيوبية تمنح لحاكم هـــذا الاقليم « اريتيريا » لقب « بحر نجــاش » ومعناه أمير البحر . وحالة الميناءين « عدول ومصوع » اليوم غير كاف للعمل المطلوب نظرا لحاجة اتيوبيا المتزايدة من حـــين لآخر فى حركة التصدير والايراد » .

« لهذا كلفت حكومتى باتخـــاذ التدابير اللازمة لتوسيع المينـــاءين وتحســـينهما تحسينا فنيا على أحدث طراز . وليس امرنا هذا مقصورا على المينـــاءين فحسب ، بل هو شامل ايضا لتحســـين طرق المواصـــلات وارتباط أجزاء البلاد بعضـــها ببعض حتى يسهل ويتيسر للمواطنين فى تنقـــلاتهم بين اتيوبيا وايرتيريا » .

ثم ختم جلالته كلامه بقوله :

« ان ثغر مصوع الذى نقف اليوم على

شاطئه سوف يكون له شان عظيم فى مستقبل الامبراطورية الاتيوبية بأسرها ، وذلك لأن بلوغنا هـذا الهدف الخطـير لايعنى فقط ربط اتيوبيا بالعالم الخارجى ، بل هو أيضا يقوى عرى الأخاء والاتحـــاد بين اتيوبيا واريتيريا تقوية أكيدة حتى ينهضا نهضـــة مباركة فى ظل نظام الفيدرالى متساويين فى الحقوق والواجبات » .

* * *

هذا هو خطاب جلالته الرائع الذى ألقاه على ميناء مصوع . وقد أفاض فيه وبين اتساع أفقه ، وعظم ادراكه للامور ادراكا دقيقا . فما أعظمه من بيان تنحنى أمامه الرءوس اجلالا واكبارا ، وتهتز القلوب فرحا واستبشارا ، فهو يوحد الكلمة ، ويدعو الى الألفة ، ويحث على المحبة والاخاء ، ويظهر للناس جميعا مقدار حرص جلالته على توفـير الرفاهية لشعبه ومقدار فهمه لماجريات الأمور فى البلاد .

مدرسة هيل سلاسى الأول بحرقيقو

وعلى بعـد بضعة كيلو مترات توجـد بلدة طيبة تحمل اسـم « حرقيقو » أبى فرد من أهلها الا أن يظهر ولاءه ، ويبين اخلاصـه ، ويرمز لحب جلالته بمؤسسة علمية ، ومعهد عظيم ، ينشر ثقافته بين أبناء الأمة ، ويوسع مداركهم . هذا الفرد وذلك الرجل هو « صـاحب السعادة صالح باشا كيكيا» ، وهو الرجل المعروف بالصدق ، والمشهور بالاخلاص ، وان عمله العظيم ليحيطنا بما يتصف به من حب وفير لأمته ، وأبناء وطنه ، فأنعم بعمله الذى يرفع من شأن الأمة ويزيد فى ثقـافة أبناء الدولة . وقد كانت بلدة « حرقيقو » جديرة بزيارة جلالته ، حيث

شد اليها الركاب قبل عودته الى أسمرة . وانها للفتة كريمة تدل على حبه وتشجيعه للعاملين المخلصين من أبناء وطنه .. فلقد أثنى على ذلك الرجل المفضال ، مكبرا له عمله ، ومعجبا بعظيم فعله ، وذاكرا له تلك اليد البيضاء ، وهذا العمل الجليل بالثناء والتقدير .

فلله در تلك الزيارة الكريمة التى وطدت الصلة ، وأحكمت البناء ، ووثقت عرى المحبة بين البلدين وأتاحت فرصة عظيمة للشعب التواق أن يرى مليكه المحبوب ، وأوجدت ساعة ذهبية أمام الامبراطور العظيم يجتمع فيها بأبناء وطنه فى مصوع ويشرح لهم سياسة بلادهم وأهميتها فى التاريخ شرحا مستفيضا .

***

الا وان هذا التشجيع لرجل فاضل من عيون قومه وسرى عظيم من سراة وطنه — هذا التشجيع الامبراطورى السامى يحمل فيما يحمل من معان عليا ، معنيين قويين ، ورمزين واضحين : أولهما أنه جاء آية جديدة على شدة عناية هذا الملك الجليل بالثقافة تنتشر بين طبقات شعبه وأفراد أمته ، ليرقى الشعب ، وتتقدم الأمة ، ويستنير جميع أبناء الشعب فيدركون حقوقهم، وواجباتهم. فان ادراك الحق، والتزام الواجب، هما الجناحان اللذان تخلق بهم الأمم الى سماء الرقى والمجد . وثانيهما أن فى زيارة جلالته للمؤسسة العلمية حثا واضحا سافرا للقادرين على مثل هذا العمل ، ان يتأسوا به، وأن يزيدوا فيه ، فتطير خفافيش الأمية والجهالة ، وتعشش طيور المعرفة والعلم ، فيزداد العمران ، وتزدان بذلك الأوطان .

هذا وقد أعد لجلالة الامبراطور والامبراطورة القصر الحكومى الذى يقع على شاطىء مصوع للاقامة فيه مدة الزيارة المقررة هناك .

وبعد أن تفقد جلالته أحوال أهالى مصوع وشئونهم الخاصة والعامة تقرر أن يعود الى أسمرة بموكبه الرسمى الذى يضم الأمراء والوزراء والعلماء مسلمين ومسيحيين وسفراء الدول الأجنبية ووزراءها .

وكانت عودته فى اليوم العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ مجتازا نفس الطريق الذى حضر منه الى مصوع .

وقد ودع جلالته من أهالى مصوع بمثل ما استقبل به من مزيد الاجلال والتعظيم .

الفصل السابع عشر

التاريخ يعيد نفسه

عودة الامبراطور من مصوع إلى أسمرة

ما كادت تنتهى زيارة جلالة الامبراطور الى مصوع فى صباح اليوم العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ حتى أراد الله لهذه المدينة (أسمرة) أن يتوجها مرة أخرى بزيارة جلالته ، فها نحن أولاء مع جلالته فى أسمرة مرة أخرى :

اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه وكائن رأينا نافعا غير عائد

تشرفت البلاد بطلعته الميمونة ، وعزته المشكورة ، اذ أهل عليها بمقدمه السعيد ، وعوده المحمود ، فتحرك منها الساكن ، وظهرت عليها علامات الغبطة ، وأمارات السرور . وكان لزيارة جلالته فور وصوله الجامع الكبير أثر بالغ فى نفوس المواطنين ، فقد دل على ما يتصف به من أريحية عظيمة ، وسماحة كريمة . وسعة فى الأفق ، وبعد فى النظر . فلا غرو أن يستقبله الجم الغفير من الأهالى والحشد الكبير من المواطنين ، وفى مقدمتهم حضرات العلماء ، وسعادة رئيس المجلس التشريعى ، وغيره من أعيان البلاد ، ووجوه القوم .

فياله من جمع حافل ، ومجلس عظيم حاشد ، ضم السادة ، وجمع القادة احتفاء بشخصية عرف الجميع فضلها . فتوافدوا لابداء اخلاصهم ، واظهار وفائهم وولائهم .

مجلس أضفى عليه الصفو نورا   واجتماع يمـلأ القلب سرورا

وأى سرور يفيض على النفس . ويغزو كل قلب . كسرور هؤلاء المواطنين بتحية مليكهم الذى حياهم بقلبه . وحضر بينهم بشـخصه . يبادلهم حبا بحب ، ووفاء بوفاء ..

سجل جلالته اسمه فى سـجل خاص أعد لهذا الغـرض ، وذلك المقصد .



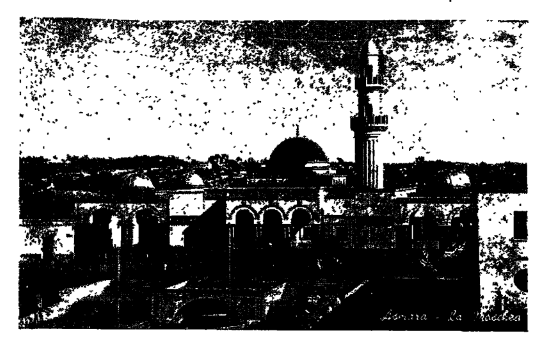
صاحب الفضيلة مفتى الديار الاريتيرية يلقى كلمة الشكر والاستقبال أمام جلالته عند زيارته لمسجد أسمره

الا وان التاريخ ليحفظ لهذه الزيارة من علاقة قوية ، وروابط متينة ، جمعت بين العنصرين ، ووحدت كلمة الشقيقين . فهذا هو مفتى الديار الاريتيرية فضيلة الشيخ (ابراهيم مختار) يلقى كلمة قيمة، وخطابا

عظيما أمام جلالته باسم مسلمى اريتيريا دل على ما لجلالته فى قـــلوب الجميع — مسلمين ومسيحيين — من حب عميق . والشيء من معدنه لا يستغرب

حب يعطـــره الولاء وانـــه رمز لاخلاص وذاك شـــعور

ويجدر بنا أن نسجل تلك الكلمة القيمة فى أسفار التاريخ لمالها من مغزى سام وأثر قوى :



الجامع الكبير بمدينة «أسمرا» عاصمة «اريتيريا»

يا صاحب الجلالة :

لى الشرف العظيم ان احييكم واشكركم باسمى وباسم مسلمى اريتيريا ، لهذا العطف السامى ، والمفخرة التاريخية التى طوقتم بها عنق الاريتيرين عموما ، والمسلمين خصوصا ، بزيارتكم الكريمة لهذا المكان وغيره فى هـــذه

الأيام . وما كان يخطر ببالنا أن يأتى زمان يجود بمثل هذه المكرمة .

ولكن الله جلت قدرته يحـدث فى الكون كثيرا مما لا يخطر فى بال .

وأن عطفكم هنا ـ يا صاحب الجلالة ـ ليذكرنا عطف سلفكم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عام ٦١٥ من ميلاد سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وأزكى التسليم ، حيث بسط لهم جنـــاح الكرم ، وسامى الوفادة ، حتى سجل لشعبكم مفخرة تاريخية لم تنلها شـــعوب المناطق الأخرى من هذه المعمورة .

وها أنتم أولاء تعيدون على أذهاننا وعلى أذهان العالم الاســـلامى تلك الذكرى من جديد . أحييتموها من مرقدها ،حتى نكون روحا جديدا ، ورمزا أكيدا الى التعـــاون المنتظر بين أبناء الشعبين ، وابناء الدينين التوامين ، اللذين ولدا متواليين بدون أن يكون بينهما مولود ثالث فهما جـديران بأن يكون اتباعهما فى التكاتف والتساند كاليدين تغسل احداهما الأخرى . وعلى الأخص فى عصرنا هذا الذى ابتلى فيه المجتمع البشرى بقــوم ينكرون الله ودينه . وزمالتهما امام العداوة فى الأخوة السماوية أصـــبحت من اللازم الضرورى .

قال الله تعالى :

(أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .
وختاما نرفع أكف الضراعة الى الله تعالى

ان يجعل اجتماع الشعبين فى العصر الحديث تحت رعايتكم . اجتماع خير وسعادة ، وعصر عدل وحرية ومساواة . ورفاهية بين الجميع ، حتى يسود الرخاء والاخاء .
((انه سميع مجيب الدعوات)) .

* * *

الا وان فى صراحة هذه الكلمات ، بل بيان هذه الآيات ، لدليلا أكبر الدليل على أنها صادرة من صميم القلوب وأعماق النفوس ، فى اخلاص لا يعرف المواربة ولا الالتواء ، بل هو الحق الصراح فى غير تورية ولا ايماء . وكان ذلك منهم عهدا ، ووفاء أبدا .

* * *

وقد رد جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول فى الجامع الكبير بأسمرة بكلمة طيبة على كلمة فضيلة المفتى ، فأكدت روح المحبة ، وأوجدت عظيم المودة . وخلقت فى النفوس طمأنينة واستقرارا ، وحملت للناس ما ينطوى عليه قلب جلالته من حب للجميع .

وهاهى ذى :

((منذ اللحظة التاريخية الأولى التى عبرنا فيها وادى ((مرب)) ونحن لا ننسى تلك الاستقبالات الرائعة ، والهتافات الحارة والحفاوة البالغة ، والمشاعر الطيبة ، التى لمسناها من أهالى اريتريا مسلمين ومسيحيين . فقد قدموا من جميع الجهات لإظهار شعورهم وولائهم ، واخلاصهم لنا فى بداية هذا العهد الجديد ، عهد الخير والبركة ، والأمل لمستقبل وطننا العزيز . ونحن الآن أكثر سرورا ، وأعظم غبطة حين رأينا روح الألفة والاخاء والاتحاد بينكم (المسلمين

والمسيحيين) عند زيارتنا لهذا المسجد قد نمت وترعرعت وظهرت بصورة واضحة جليـــة ٠

شعبى العزيز :

« توجد فى اتيوبيا عناصر مختلفة ، ونحل متباينة ، تعيش على محبة ووئام ، تحتظل الحرية والعدل والمساواة منذ زمن بعيد ٠٠ لأنه مهما كانت الأديان مختلفة ، والمذاهب متعددة ، فان المصدر واحد والغاية واحدة ، وأن الانسان أخو الانسان فى جميع الحالات مهما اختلفت الألوان ، وتباينت الجهــات فالوطن للجميع ، وليس لأحد على أحـــد فضل أو ميزة فى نظر العدالة ، بل الكل فى ذلك ســـواء ٠ والاتيـوبيون والأريتيريون مسلمين كانوا أو مسيحيين من دم واحد ، وجنس واحد ، ووطن واحد ، وفى الحقوق والواجبات واحد وفى الايمان بالله واحد ٠

وان الشعوب الأخرى كما تعلمون أيضا ليست جميعهـا على الدين الاســـلامى أو المسيحى ، بل هناك أديان اخرى وعقـائد مختلفة تدين بها كما تشاء » ٠

« ولكن عندما يدعو داعى الوطن ويحين وقت الفصل للعمل تظهر تلك الأمة المختلفة العقائد والمذاهب على صورة واحدة فقط ٠ الا وهى ٠ السخاء ٠ والبذل ٠ والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل الدفاع عن الوطن والذود عن الأهل والعشيرة » ٠

« واجتماعنا اليوم فى هذا المسجد لدليل

واضح ، وبرهان ساطع، على تضامننا واتحادنا في جميع الحالات ، مع تقديرنا واحترامنا لجميع الأديان » .

«وهذه عادتنا ومبدؤنا نحن الاتيوبيين منذ قديم الزمان كما يشهد لنا التاريخ ، وليس أصدق على ما نقول من أنه عنـــدما وقف شعبنا في الأمس القريب أي في سنة ١٩٣٦ صفا واحدا في وجه العدو ، وكان مثـــالا للتضحية والبطولة أعاد فيه سيرة أسلافنا الأولين الذين كانوا مضرب المثل في الشجاعة والاقـــدام ، في ســـــبيل الحـــرية والاستقلال » .

«ولما أذن الله لنا بالعودة الى وطننا العزيز منتصرين على الأعــــداء بجانب حلفائنـــا سنة ١٩٤١ فاننا لم ننس في التقدير والمكافأة للعاملين المخلصين كل يدق حسب خدمته، وجهاده ، مسلما كان أو مسيحيا ، من أبناء هذا الوطن العزيز .

واننا لن نرضى ولن نقبل أن نسمع بعـــد اليوم من أحد كائنا من كان كلمة المســـلم والمسيحي ، تلك التي تحمل بين ثناياها روح العنصرية البغيض بل ســـنعتبره عـــدوا لاتيوبيا ... !»

* * *

ثم ختم جلالته كلمته بالثناء والتقدير لأهل ارتيريا جميعا ، راجيا لهم التوفيق في خدمة الوطن ، متحدين تحت التاج المشترك في سعادة وسلام .

وبمناسبة تلك الكلمة القيمة التى ألقاها فضيلة مفتى اريتيريا يجدر بنا أن نسجل تلك العلاقات القديمة التى أشار اليها فضيلته ، فهى تربط بين المسلمين وأهل اثيوبيا . وتعد أكبر دليل واضح على المحبة ، وخير حافز على التمسك بالأخوة الصادقة ، والمودة الثابتة بين أبناء وطننا العزيز من مسلمين ومسيحيين .

الفصل الثامن عشر

علاقة الاسلام بأتيوبيا

ينطق التاريخ بما أثبته من صفحاته لما بين المسلمين والاتيوبيين من علاقة متينة تسجل بمزيد الفخر كرم الاتيوبيين وجميل ترحيبهم .

فهذا هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يقول لأصحابه — بعد أن اضطهدوا فى بلادهم وأوذوا فى ديارهم : (اخرجوا الى جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه .)

أو ليس هذا أكبر دليل ينطق بكرم أبناء اتيوبيا من قديم الزمان . ويثبت تلك العلاقات الودية بينهم وبين المسلمين منذ فجر الاسلام ؟

وانى لأترك التاريخ يتكلم فى هذه المناسبة العظيمة التى استرسلت فيها أقلام الكاتبين ، فهذا هو (النجاشى) يكرم وفادة المسلمين ويبين حصافة رأيه . وصواب فكره حين يسأل عن عمرو بن العاص ، وهو يومئذ عدو للاسلام ، يسأله عن محمد بن عبد الله ، وعن رسالته ، وعن حالته بينهم ، فتراه يقول له :

أيطلب منكم محمد ملكا ؟ فيجيبه لا والله . ولكنه يشتغل بالتجارة ورعى الأغنام . فيسأله أهو فيكم ذو نسب ؟ فاذا به يجيبه : هو عظيم النسب فينا . فيعود ويقول : أكثرت أتباعه وانتشرت دعوته ؟ فيعرف منه أن دعوته ما زالت فى المهد وأصحابه لم يكثر عددهم بعد . ولكنهم

يزيدون يوما بعد يوم .. فيسأله عن حاله قبل الرسالة : أهو صادق فيكم أم كاذب ؟ فيقول له : ما جربنا عليه كذبا . فينطق النجاشى بذلك المنطق الذى سجله له التاريخ :

« سألتك عن نسبه . فقلت هو فينا ذو نسب . وهكذا الأنبياء يرسلها الله ويصطفيها من صفوة خلقه . وسألتك عن حاله (أيطلب ملكا ؟) فقلت : لا . وهكذا الأنبياء فى دعوتهم الى الله خالصة لا يبغون من ورائها جاها ولا سلطانا . وسألتك عن صدقه فقلت : صادق . وهكذا الأنبياء يشتهرون بالصدق ويتسمون بالاخلاص » .

« والله انه لرسول الله حقا . وستنتشر دعوته حتى تعم الآفاق . فخذوا على يد هذا الرجل الأمين »

ولتمام الفائدة بمعرفة اتصال المسلمين بالحبشة عن طريق الهجرة ، أرى أن أنقل اليك بتصرف ما كتبه صاحب السيرة الحلبية لأن ذلك يعد أكبر مفخرة لاتيوبيا الى اليوم . فقد ذكر أن نجاشيا كان صادق الرأى ، أعلم أتباع المسيح بما أنزل على نبيهم ، وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لتأخذ عنه العلم . أنظر اليه وقد أوفدت قريش عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة بهدية الى النجاشى (فرس وجبة ديباج) ليرد من جاء اليه من المسلمين ، وكان قد وفد الى الحبشة منهم ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة[1] وعلى رأسهم جعفر بن أبى طالب فلما دخلا عليه سجدا له وجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره فما كان منهما الا أن قالا (ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا — جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم — وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش لتردوهم اليهم) .

---

(١) الهجرة الثانية إلى الحبشة . .

فقال النجاشي : وأين هم ؟ قالوا : بأرضك ارسل فى طلبهم . وهنا وأيم الحق يجب على كل كاتب اتيوبى أن يسجل بمداد من الفخر موقف النجاشى من هؤلاء اللاجئين حيث قال النجاشى قولته الخالدة :

« والله لا أسلمهم حتى أعلم على أى شىء هم » .

فأراد عمرو بن العاص أن يستعمل دهاءه حتى ينال رضا الامبراطور ويظفر بتسليمهم . ويوغر صدره عليهم ، فقال له : أيها الامبراطـــور العظيم . انهم قوم لا يسجدون للملك اذا دخلوا عليه رغبة عن سنتكم ودينكم . لكن النجاشى أصر على حضورهم ليعلم صدق حـديثهم ، ويقف بنفسه على أمرهم ، فأرسل فى طلبهم فجاءوا وعلى رأسهم جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه . وهاهم أولاء المسلمون يتشاورون فيما بينهم بما يحيون الامبراطور اذا دخلوا عليه ؟ فيقر قرارهم وتجمـــع كلمتهم ، نحييه بما أمرنا به رسولنـــا . وكأنى بهم وقد دخـــلوا على النجاشى بعد أن دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله . يتزعمهم جعفر ويصيح : جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله ، فيقول النجاشى : نعم يدخل بأمان الله وذمته ، فدخل عليه ودخلوا خلفه مسلمين . فقال له الملك : مالك لا تسجد ؟ وهنا ينبرى عمرو بن العاص ويقول : ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله أيها الملك ! . انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك. لكن حصافة الرأى دفعت نجاشى الأحباش أن يقول :

يامعشر العرب : ما منعكم أن تسجدوا وتحيونى بتحيتى التى أحيا بها من الناس ؟ فما كان من جعفر الا أن ينطق فى شجاعة ، ويتكلم فى صراحة : (لا نسجد الا لله عز وجل) . فيسر الامبراطور لهذه الشجاعة النادرة ، وهذا الايمان العميق ، ويقول : ولم ذلك ؟ فيجيبه جعفر : لأن الله تعالى أرسل فينا رسولا ، وأمرنا ألا نسجد الا لله عز وجل ، وأخبرنا

ان تحية أهل الجنة السلام . فحييناك بالذى يحيى بها بعضا بعضا فأيقن النجاشى بصدق قولهم لما يعلمه كذلك فى الانجيل . لكن عمرو بن العاص وقد أخفقت محاولته أراد أن ينفث سمومه ويحتال على الامبراطور لينال غرضه ويتسلم منه جعفرا وصحبه . فاذا به يقول للنجاشى : انهم يخالفونك فى ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله عز وجل . فيقول النجاشى لجعفر : فما تقولون فى ابن مريم وأمه ؟ فقال : نقول كما قال الله عز وجل : (روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء فخرج منها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) فقال النجاشى : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان . ما يزيدون على ما تقولون . أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى فى الانجيل . وأسلم وحسن اسلامه . ولقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم على يد عمرو بن أمية الضمرى كتابا يقول فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة . سلم أنت . فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ،وأنى أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى فانى رسول الله . أدعوك وجنودك الى الله عز وجل . وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى .

والسلام على من اتبع الهدى).

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره ، فجلس على الأرض ثم أسلم ، ودعا بحق من عاج ، ووضع فيه كتاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم تكريما له ، وقال قولته المشهورة : (لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم) وقد كتب النجاشي رد كتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فيه اسلامه على يد جعفر ابن أبي طالب وحسن اكرامه لهم ، وتقريبه اياهم وهذا نص كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي أصحمه .

سلام عليكم يانبي الله من الله ورحمته وبركاته الذي لا اله الا هو ، والذي هداني للاسلام .

آما بعد . فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فورب السماء والأرض . ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعث به الينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك ، فأشهد آنك رسول الله صلى الله عليك وسلم صادقا وصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين) .

* * *

انه لتاريخ ملىء بالعظة وصفحات مسطرة بالحكمة . فقد اطمأن المسلمون الى أخلاق النجاشي ، منذ أن عرفوه فعرفوا منه السماحة والكرم . هذا هو عمرو بن أمية يقول له عند اعطائه الكتاب : (كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان على القول وعليك الاستماع . انك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك ، لأنا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه . ولم نخفك عن شر قط الا آمناه . وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم . والانجيل بيننا وبينك . شاهد لا يرد ، وقاض لا يجوز في ذلك .

أفلا يدل هذا على مقدار ما بين المسلمين والاتيوبيين من ثقة وحسن علاقة من قديم الزمان . وقد ظل النجاشى على صلة بالمسلمين وثيقة .

ومما يدلك على عظم مكانته عند الرسول صلى الله عليه وسلم انه لما توفى سنة ٦٣٠ م صلى عليه صلاة الغائب .

وقد دفن النجاشى فى قرية واقعة بين مدينتى (حوزين) و (أطبى) فى اقليم تجرى ، وما زال ضريحه هناك قائما الى اليوم .

وان أهل اتيوبيا ليدفعهم الوفاء لنجاشيهم السالف فلا يزالون مقدرين هذا الرجل العظيم ذاكرين له جليل أفعاله ، وحسن خصاله . مما دفع أحد أبنائها الى تجديد بناء ضريحه الكبير على أحدث طراز من ماله الخاص ، ذلك هو المحسن الكبير الحاج (أزماج محمد عبده) من أهالى (عدوة) تجرى .

***

هذه صفحة خالدة أيها القارىء الكريم تستبين منها علاقة المسلمين بالاتيوبيين منذ فجر الاسلام . وهى غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، أمام ما سجله التاريخ بين شعور هؤلاء المحبين .

وانها لمكرمة لاتيوبيا ومليكها العظيم ان دلت على شىء فأنما تدل على السماحة والكرم ، والعدالة وعدم التعصب . وحسن الجوار . وكرم المحتد . فقد أمن خوف اللاجئين وأجار هؤلاء المستجيرين ، من أبناء المسلمين ، فلا غرو ان وجدنا من امبراطورنا العظيم هيل سلاسى الأول سماحة وعدلا وكرما وفضلا ، فهذا الشبل من ذاك الأسد . ذرية بعضها من بعض ، يلقى الآباء دروس المجد للأبناء ، فيتقبلها الشعب بروحه الاتيوبى العظيم .

وان الناظر اليوم فى جميع أنحاء اتيوبيا ليجدها مليئة بكثير من أبناء العروبة ، وعديد من المسلمين استوطنوا اتيوبيا فلذ لهم المقام ، وطاب لهم العيش ، واتخذوها وطنا لهم ، لما اكتنفهم من عـدالة جـلالته ، وشملهم من عظيم عنايته ، يعيشون فى رغد من الحياة ، ويحسون بروح عظيمة طيبة ويملأ الأمن قلوبهم ، ويشعرون بشعور الاتيوبيين كشعور أبناء وطنهم .

* * *

ان العلم الحديث ، والعلم القديم جميعا ، قد أثبتا أن الانسان جزء من وطنه ، وطينة من تربة بلاده ، فطرته من فطرتها ، وجبلته من جبلتها ، والفطرة والجبلة هما مصدر الأخلاق والشـمائل ، واذا كان النجاشى الأول قد أكرم وفادة المسلمين وحقن دماءهم أن تراق ، وحفظ ذممهم أن تخفر ، فانما مرد ذلك الى فطرته السليمة ، وسليقته العظيمة ، التى توحى بها تربة بلاده ، وطبيعة وطنه .

وما تزال هذه الشهامة العالية ، والشمائل السامية ، فى مـلوك الاتيوبيين ورؤسائهم ، حتى تجلت فى هذا العصر ، صورة رائعة من عطف الامبراطور العظيم هيل سلاسى الأول على شعبه المسلم ، كعطفه سواء بسواء على شعبه المسيحى ، ليحيا الجميع فى سعادة وبلهينة دائمين ، وفى رخاء وأمن مطردين .

الفصل التاسع عشر

مصر وأتيـــوبيا

ان كلامنا عن هذين البلدين الكريمين يرجع بنا حقبة طويلة من الزمن ليذكرنا بتلك العلاقات الطيبة والروابط المتينة التى جمعت بينهما فقد ربط الله بينهما بروابط لا تنفصل وأوثق عروتهما بوثاق لا يحل ، هذا هو نهر النيل يشق طريقه بين البلدين ، ويسقيهما بمائه ، فيقــذف فى نفوس أبنائهما شعورا واحدا ويغرس فى أفئدتهما احساسا مشتركا ، فتراهما اخوين شقيقين ، وجسدا واحدا اذا اشتكى منهم عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . وكيف لا ؟ والكل يدين بدين واحد ويعتنق عقيدة واحدة ، فما المصريون الا مسلم ومسيحى ولا يخــرج الاتيوبيون عن هذين العنصرين . مما جعلهم أحبة متآخين واخــوة متآلفين . يبرز الزمن اخلاصهم ، وصادق شعورهم كلما دعا الداعى أو نادى المنادى أو جل الخطب . ونحن اذا نظرنا الى واقع الأمر على مسرح الحيــاة لرأينا الظــروف متماثلة فى كلا البلدين من جميــع وجوههما .

انه لشعور طيب وفخر عظيم سجله التاريخ لكلا البلدين .

وكيف بنا نذهب بعيدا وقد دار الفلك دورته ، وسجلت عجــلة الزمان بمرور الأيام صفحة ناصعة من العلاقات الطيبة بين اتيوبيا والعالم الاسلامى عموما ، والشعب المصرى خصوصا .

بدا ذلك واضحا جليا فى سنة ١٩٣٥ عند اعتداء ايطاليا على اتيوبيا ،

فقد أظهر المسلمون سخطهم وأبدى المصريون استنكارهم على ذلك الاعتداء الغاشم ، مما كان له أحسن الأثر فى نفس الشعب الاتيوبى . ولكأنى بتلك الهيئات التى كونها الشعب المصرى مدفوعا بدافع المحبة ومتحفزا بحافز الاخلاص . كون هيئات من الأمراء والزعماء الدينيين وغيرهم لمشاطرة اتيوبيا وتخفيف آلامها . وتشجيعها فى وقوفها منفردة تدافع عن شرفها واستقلالها أمام الظلم والطغيان . والعالم الغربى ينتظر ويشاهد ممثلا فى عصبة الأمم نظرة المتفرج ، ومشاهدة الذى لا يهمه الأمر فى قليل ولا كثير . ولكن المصريين برزت هيئاتهم مكونة من حضرات (الأمير) عمر طوسون وغبطة الأنبا يؤانس بطريرك الأقباط الأرثوذكس ، (والنبيل) اسماعيل داود ، والدكتور على (باشا) ابراهيم ، والدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والأستاذ توفيق دوس باشا ، وصاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وكثيرون من علماء الأزهر وأساتذة الكليات فيه والدكتور محمود الصاوى الذى استشهد أثناء تأديته للواجب الانسانى فى ميدان القتال (بأوجادين) وغير هؤلاء من أبناء مصر .

وان اتيوبيا لا تنسى لشقيقتها مصر هذه الروح الطيبة ولا تنكر هذه الأخلاق الكريمة والأريحية العظيمة والشعور النبيل لأبناء مصر . بل ستظل له ذاكرة جيلا بعد جيل .

* * *

ولقد شهدت مصر الدار الكبرى لجمعية الشبان المسلمين . وقد انقلبت أتونا متأججا بالحماسة الوطنية ، حفاظا على الجارة العزيزة اتيوبيا ، تموج غرف الجمعية وردهاتها بالاجتماعات ، تلو الاجتماعات ، يتزعمها قادة الفكر ، وذوو الرأى ، وأرباب الأقلام ، والخطباء والشعراء

والكتاب ، من علماء الأزهر ، وأساتذة الجامعات ، وغيرهم وغيرهم . يستثيرون حماسة الشعب المصرى ، لشد أزر أخيه الشعب الاتيوبى — وما كانت مصر كلها بحاجة الى استثارة — ويستنهضون الهمم — وما كانت الهمم بحاجة الى الاستنهاض .

لكنها تنظيمات لهذه الموجات الحماسية ، كى تعرف الطريق الواضح الى حيث أداء الواجب ، واجب الجوار والأخاء . والتساند والنجدة والوفاء .

وقد كان لموقف مصر هذا أثره فى هز أعصاب العالم المتمدين ، وايقاظ الضمير العالمى ، ليعطف على القضية الاتيوبية ، ويخلص الشعب المظلوم البرىء من براثن الوحشية الاستعمارية .

الفصل العشرون

زيارة الأمبراطور لمدينتى كرن وغرضت

تمهيد :

ان انتقال جلالة الامبراطور من مدينة لأخرى له أثر عظيم يعترف به التاريخ ، فما حدانا الى أن نحرص على تدوين تلك الزيارات وتسجيلها فى هذا السفر لما لها من الأهمية التاريخية ، ففى اليوم الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ يمم جلالته ومعه الامبراطورة شطر مـدينتى (كرن — غرضت) لزيارتهما .

تعريف بمدينة كرن :

ويجدر بنا فى هذه المناسبة السعيدة أن نبصر القارىء الكريم بما لهذه المدينة من شأن عظيم ومركز مهم فى البلاد الاتيوبية .

ف (كرن) هذه مدينة مشهورة . أضفت عليها الطبيعة المناخ العظيم والهواء العليل بيد أنها مركز ذو أهمية استراتيجية عرف الجميع فضله وقيمته فى الحرب العالمية الأخيرة حين وقعت فيها تلك المعركة الخطيرة ، والموقعة الفاصلة التى تداعى فى نهايتها ركن الدفاع الايطالى ووهنت قوته وضعفت شوكته فى جميع أجزاء اتيوبيا ، وتمكن الحلفاء مـن تحطيم تلك القوة وهدم ذلك الركن عام ١٩٤١ .

وأما موقع (كرن) من (أسمره) فهى تبعد عنها بحوالى ٩١ كيلومترا وترتفع عن سطح البحر ١٤٠٠ قدم .

محصولاتها :

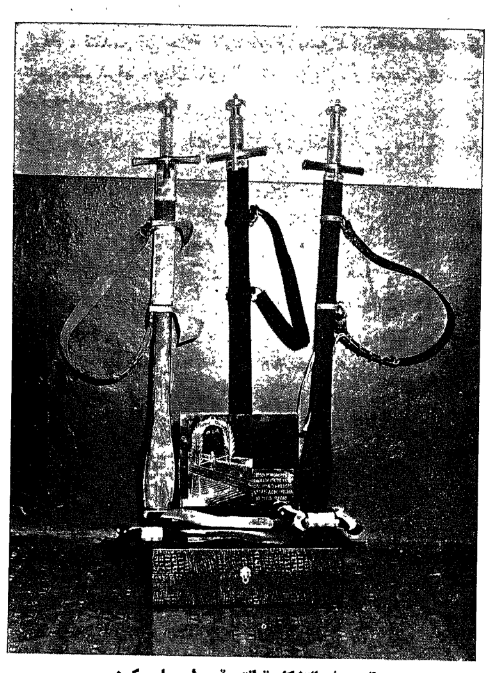
وأما محصولات هذه البلدة فهى عظيمة الأهمية ، حيث تنتج الصبار والموز والدخان وأجود أنواع الفواكه والحبوب .

وان بلدة تلك محصولاتها وهذه منتجاتها لجديرة فى الماضى والحاضر أن تكون لها أهمية كبيرة من الناحية التجارية . فقد كانت (كرن) فى الزمن الماضى ملتقى القوافل التجارية التى كانت تمر من كسلا الى مصوع قبل انشاء الخط الحديدى من الخرطوم الى السواكن .

وهذه الظروف السعيدة شاء الله أن يتيحها لتلك البلدة فتشرفت بزيارة مليكنا المحبوب . واذا أردت أن تصف استقبال أهالى كرن لجلالته يعجزك الوصف ويطول بك الحديث . فمن زينات وأقواس الى ابتهاج وأفراح من نفوس أناس ، تمكن حب المليك من قلوبهم . وغرس ولعهم به فى نفوسهم . عرفوا فضله فقدروه قدره . وأنزلوه من نفوسهم منزلة سامية يتضاءل أمامها كل تعبير . ولعلهم بذلك كانوا ينافسون أهالى مدينتى أسمره ومصوع . والحق يقال أن جميع بلاد اتيوبيا تعرف لجلالة مليكها ماله عليهم من أياد بيضاء ومنن متعددة وكيف وهبهم حياته . ومنحهم اخلاصه ووفاءه . فلا عجب أن يبادلوه حبا بحب ووفاء بوفاء .

الهدايا :

ولعل تلك الهدايا التى قدمها أهالى كرن لتعتبر أكبر دليل ، وأعظم رمز على الحب والولاء لشخصه المحبوب ، اذ بعد أن استقر جلالته وطاب له المقام فى كرن ، وجلس فى المكان المخصص له ، تقدم أعيان كرن وزعماؤها الى جلالته فور وصوله بهدية تذكارية (سيف محلى بالذهب الخالص) .



السيوف التذكارية التى قدمها مسلمو كرن
بمناسبة زيارة جلالتـــه الميمونة لبلادهم

وأبت سيدات هذه البلدة الا أن يشاركن رجالهن فى الاخـلاص والوفاء ، فتقدمن الى جلالة الامبراطورة بهدية تذكارية تناسب مقامها وتليق بعظيم شرفها . وكان لهاتين الهديتين أثر بالغ ، ووقع عظيم فى نفس جلالتيهما .

زيارة جلالة الامبراطور للنصب التذكارى لقتلى الحرب العالمية الثانية المقام فى كرن

وانها للفتة كريمة ، واشارة طيبة ، تدل على عظيم ما يتصـف به جلالته من تقدير للأبطال ، وعرفان للجميل . فقد زار جلالته النصـب التذكارى لأبطال معركة (كرن) هؤلاء الذين سقطوا عام ١٩٤١ فى ميدان القتال بعد أن استبسلوا فى الدفاع ، واستشهدوا فى الجهاد فحق للتاريخ أن يسجل لهم الفخر . وحق للمليك أن يحبو تراثهم بمقدمه . ويخص رمز تذكارهم بزيارته . ولا عجب فان هـذا المكان تهتز له المشـاعر ، ويهفو اليه الوجدان . وينطلق فيه اللسان ، مشـيدا بذكر أبطال عرفوا واجبهم ، وماتوا فى سبيله ، لتحيا أمتهم حياة حرة . وتعيش عيشة كريمة . هذا هو جلالته يلقى كلمة عظيمة فى ذلك المكان الخالد ، يعبر فيها عما لهؤلاء من الفخر التاريخى بجليل عملهم الانسانى نقتطف منها ما يأتى : فقد قال جلالته :

« ان الأرض التى نقف عليها الآن هى بحق تربة مقدسة ، ضمت فى جوفها ابناء أمـم مختلفة . ماتوا فى حومة الوغى وميـدان الجهاد . دفاعا عن الحرية والعدالة وانا اذ نذكرهم . لنذكر تلك الأيام القاسية التى مرت على الشعوب الحرة فى ميادين الشرف، وقد كانت معركة (كرن) بدء نقطة التحول والسبب الدافع الى النصر بافريقيا كلها ».

ثم أثنى جلالته على القائد العبقرى العظيم (الجنرال ويفل) قائد القوات المتحالفة فى الشرق الأوسط على ما بذله من مجهود مشكور ، وجهاد موفق .



جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول يحيى أحد زعماء المسلمين فى غرب ارتيريا عند زيارته لتلك الجهة

ثم قال :

« حينما كانت معركة (كرن) لا تزال حامية الوطيس تمكنا من عبر حدود امبراطوريتنا على رأس جيش التحرير لتخليص الوطن من أيدى أعدائنا المغتصبين . وكان لهذه الخطة الاستراتيجية التى ضربنا فيها العدو من هذه الجهة تأثير كبير فى انهاء

معركة (كرن) بصورة حاسمة سجلت لنا موقفا مشرفا وجهادا مستبسلا .

ثم ترحم جلالته على أرواح الشهداء قائلا :

«ان معركة«كرن» الخالدة يجب أن تبقى ذكراها ماثلة أمام كل اتيوبى مـدى الأيام . وعلى كل طالب علم من ابناء اتيوبيا فى جميع المعاهد والمدارس ان يحفظ اسم كل صخرة وكل قمة وبقعة اريقت فيها دماء جنـود حلفائنا الأبطال » .

ولم ينس أن يذكر جلالته بالثناء والترحم القواد الايطاليين وجنودهم على ما أظهروه من الثبات والشجاعة فى ميدان « كرن » المريرة انصافا لهم واحقاقا للحق . واملاء على التاريخ بالواقع المشهود . فقد قال :

«ان جميع الذين ماتوا شهداء الواجب سواء أكانوا من حلفائنا أم من اعدائنا فانهم يستحقون التمجيد والخلود فى سـجلات التاريخ » .

ثم قال :

« ان الدماء الزكية التى أسـقت ارض « كرن » قد أثمرت توحيد شعبين انفصلا حقبة من الزمن برغم ارادتهما ، وعادا الى سابق عهدهما الأصلى تحت تاج واحد هو التاج الاتيوبى (الفدرالى) » .

هذا هو خطاب جلالته الرائع وتلك هى كلمته ، وهذه صفحة خالدة ونبذة يسيرة عن زيارة جلالته ومنها تتبين مالها من أثر تاريخى عظيم .

* * *

وانك لتلمس من الخطاب روح الجندية والفروسية العالية ... فان

خصومة جلالته للايطاليين لم تنزل به الى حدّ جحودهم الترحم عليهم ، وذكرهم بكلمة انصاف . فجاءت عبارات جلالته آية على ما طبع عليه من الشجاعة التى تسمو فوق الخصومات ، والمنازعات ، فى المــواقف الخطابية الخالدات .

زيارة جلالته لغرضت

وأما الحديث عن زيارة جلالته لمدينة (غرضت) فلا ينبغى أن يفوتنا أمانة لحق التاريخ ، فقد تفضل جلالته بزيارتها فى موكبه الاسبراطورى الرسمى وقوبل فيها بالترحيب . واستقبل بالحفــاوة والتكريم . وانه لجميل حقا أن تسابق كل مــدينة أختها فى اظهــار الولاء ، وابداء الاخلاص .

فهذه مدينة (غرضت) أبى أهلها الا أن يدلوا بدلوهم فى الدلاء . ويظهروا لمليكهم عظيم الولاء . فتراهم يقدمون لجلالته هديتين ليجعلوا منهما رمزا لحبهم ، ودليلا على اخلاصهم ، وتسجيلا لزيارة امبراطورهم : الهدية الأولى (جواد أصيل) — وفى ذلك رمز بارز الى ما عليه جلالة الامبراطور من الشجاعة والفروسية ، وأنه الى جانب رأيه الصائب ، وفكره الثاقب ، رجل حرب وجلاد ، وكفاح وجهاد — . وأما الثانية (فسيف محلى بالذهب الخالص) — وفى ذلك الرمز الواضح ، الى رأيه القاطع ، ونور عقله الساطع ، ففى السيف قوة وبريق ، وبه يتم لكل أمل التحقيق . ألا ما أحسن هذا الاختيار الموفق فقد جاءت هديتهما رمزا للبطولة والشجاعة لما يعلمون عن مليكهم من حبه الشجاعة ، وتقدير البطولة ، وتكريم الأبطال المجاهدين ... ، وقد تقبل جلالته الهــديتين بالرضا والسرور ، وأفاض على أهــل هذه المدينة من عذب حديثه

ما أدخل البهجة فى نفوسهم ، وجعل الغبطة تسرى فى عروقهم . والوحدة يحسها كل فرد منهم ، واضحة جلية .

تلقــونى بكل أغــر زاه كأن على أسرته شـــهابا

ترى (الاخلاص) مؤتلقا عليه ونور (الحب) والكرم اللبابا

* * *

ألا ان تكرار هذه الزيارات ، ليحمل معنى عاليا من معانى الانسانية الفضلى ، بل من معانى السياسات العليا ، ذلكم هو الاتصال المباشرة ، والمشاهدة بالعين المجردة ، اتصالا ومشاهدة يجعلان القلوب متصافحة ، والنفوس متمازجة .

وأى شىء فى المعانى الانسانية هو أسمى من أن يتجه ملك امبراطور ، بشخصه ، وبذات نفسه ، وبكل جسمه وحسه ، الى طوائف شعبه ، فى بلادهم ومواطنهم ، وفى دورهم ومساكنهم ، ليتفقد ما هم عليه من حال ، كى يعمل عملا مباشرا الى اطراد التحسن ، وتقوية الضعف ، وشــد الأزر ، واستحثاث الهمم الى الرقى والنمو الكاملين ..

ثم ليتعرف بذاته ما عسىأن يكون من أسباب الشــكوى — ان كانت — ليعمل على ازالتها ، وليطمئن على سير العدالة ، كى تستمر فى نهجها وطريقتها ، ليحيا الناس جميعا حياة أمن وطمأنينة ، بل حياة محبة وسعادة فى سائر الأوطان . لا يطغى قوىّ على ضعيف ، ولا غنىّ على فقير ، ولا ذو سلطة وجاه ، على مــن ليس له من ذلك شىء فى الحياة . فها هو ذا الامبراطور يبسط حمايته ، ورعايته على جميع أفراد رعيته ، هو لهم جميعا الراعى الكريم ، بل الأب الكريم ..

فكأنه كما قال شوقى :

نبكى ونجزع فيه بين عيونهم ان الأبوة مفــزع الأولاد

الفصل الحادي والعشرون
عودة الأمبراطور إلى أديس أبابا
وزيارته مصوع فى الرحلة الثانية ٢١ يناير سنة ١٩٥٣

« وبين جوانحي واف ألوف
اذا لمح الـديار مضى وثابا »

لما انتهى جلالة الامبراطور من زيارة (غرضت) تقرر أن يعود الى عاصمة ملكه (أديس ابابا) عن طريق البر ليمتع هؤلاء الذين لم يحظوا بشرف رؤيته من التمتع بمقدمه ، ومشاهدة ذاته ، تلك الذات التى تتوجه اليها القلوب وترنو اليها النفوس ، وتشخص لها الأبصار . فعاد جلالته وتمكن من لم تسنح له الفرصة من رؤية مليكه أن يراه ..

وكان من الوفاء حقا أن يعود جلالته بعد أن أمضى فترة قصيرة من الزمن فى عاصمة ملكه ينهى فيها أعمال الدولة العليا . الى مصـــوع قاصدا زيارتها . ذلك أنه فى أثناء رحلته الأولى لارتيريا لم يكن لأهل « عصب » وما حولهـــا من أهل السواحل نصيب من زيارته . فأبت عليه نفسه العادلة أن يحرم أناسا من هذه الزيارة التاريخية التى ان دلت على شىء فانما تدل على الشعور المتبادل ، والأخاء المتأصل ، والأمل المرتقب .

هو مقدمه السعيد . فوعدهم جلالته بالزيارة ولم يكن الا موفيـــا بالعهد ، فوفاه لهم منشرح الصدر ، قرير العين ، مبتهج القلب ، مرتاح

الضمير ، لهذا التوفيق الذى منّ الله به عليه . فليس من الغريب اذا أن يسر أهل تلك المنطقة بهذه الزيارة سرورا بالغا تجلت مظاهره فى الاستقبالات العظيمة ، والحفاوة البالغة ، والزينات المنصوبة ، والأعلام المرفوعة ، والجموع المحتشدة ابتهاجا بمقدمه السعيد ، وزيارته الميمونة وبعد أن انتهى من زيارة (عصب) عدول وما حولها توجه جلالته الى مصوع للمرة الثانية .

فيض ملكى

والى ما تحمل هذه الزيارة الكريمة الى ثغر (ميناء) — عصب — من معان سامية ، فقد كانت الزيارة فى ذاتها غيثا ممرعا على الأهلين ...

ذلك أن جلالته قبل أن يغادر (عصب) سقاها من غيثه الرحيم ، وبره العميم ، ما ألهج ألسنة أهلها بالدعاء ، وملأ قلوبهم بالولاء والوفاء .

اذ أمر جلالته فوزعت الهدايا والاعانات على المعوزين ومن اليهم من المسلمين وسائر الأهلين . كما أظهر عطفه على الموسرين ، بتوزيع الأوسمة والنياشين .

فعمّ السرور جميع الطبقات ، وشرح صدور كل الهيئات ، فى الحقول ، والمصانع والبيوتات .

الملك فى مصوع « مرة أخرى »

أعمـــاله

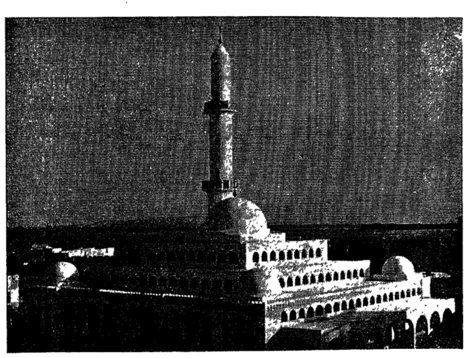
كان أول شيء اتجه اليه جلالته بعد وصوله ، هو المســارعة الى تسجيل عمل تاريخى يظل ذكره فى المستقبل ناصعا متلألئا ، وفى قلوب المواطنين خالدا مسجلا ، وفى نفوس أبناء الأمة منقوشا بحروف من نور ، ذلك أن جلالة الامبراطور لما قدم الى مصوع توجه الى كنيسة القديسة مريم لوضع الحجر الأساسى فيها ، فوضع الحجر بين مظاهر الفرح ، ومواكب السرور .

جلالته يرسى حجر الأساس لمسجد (جامع حنفى)

وكان من التوفيق حقا أن يتوجه جلالته بعد ذلك الى الجامع القديم (جامع حنفى) ليرسى بيده الكريمة حجره الأساسى لبنائه من جديد على أحدث طراز هندسى يناسب العصر الحديث . وعلى عادة جلالته من حب الخير والتضحية والبذل فى سبيل الأمة :

شاءت ارادته أن يتم بناء هذا المسجد الكبير على نفقة جلالتـــه الخاص . فأنعم بهذا الملك السمح الجواد ، وأنعم بما قام به من عمـــل لأبناء أمته وأفراد شعبه من العنصرين . فما أعظمه من امبراطور نقى القلب ، مفطور على الخير ، يؤمن بالوسيلة الصالحة للغاية النـــافعة . ويوقن بحاجة أمته الى عدله ورضاه ، وبذله وسخائه . هذا هو حضرة صاحب الفضيلة (الشيخ حامد أبو علامة) قاضى مصوع وما حـــولها

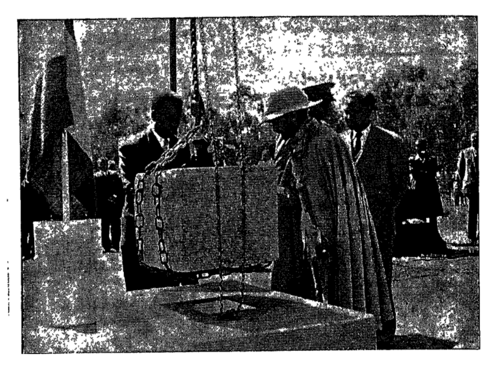
يتقدم بين يدى جلالته لينقل تلك الصورة التى طبعت فى قلوب المسلمين بمصوع يرتسم فيها حب مليكهم المفدى ، وولاؤهم واخلاصهم لذاته الكريمة ، وشخصيته العظيمة . وقد أفصح بلسانه ، وأثبت ببيـان ، ما يكنه جنانه وجنان اخوانه من مسلمى مصـوع من شكر وثنـاء واخلاص ، وولاء . ومحبة ووفاء . ورضا ودعاء لما وجدوه من جلالته من تضحية وفداء . وبذل وسخاء . تجلى مظهره وأظهرت آياته فى هذه اللفتة الملكية الكريمة المجردة عن العنصرية والعواطف . والخالية مـن التعصب البغيض ، والتحيز الممقوت .



المسجد الفخم الذى بناه جلالته على نفقته الخاصة فى ثغر مصوع

يبنى معبدين بمجرد دخوله المدينة ، وما هذا الا لأنه أراد تحصين القلوب بالايمان ، وملء النفوس بحب العقيدة الثابتة ، لعلمه أن فى

تمكين الايمان بالقلوب تهذيبا للنفوس ، واصلاحا للاخلاق ، وانماء للفضيلة ، واماتة للرذيلة ، فان الشعوب المؤمنة بربها المتمسكة بأهداب عقيدتها ودينها ، حق لها النصر ، وسجل الله لها الظفر ، كما حدثنا التاريخ فى صفحاته الخالدة ..



جلالة الامبراطور وهو يضع الحجر الأساسى فى كنيسة القديسة مريم فى مصوع ويرى بجانبه سعادة نائب الامبراطور بتودد اندارجى مساى وآتو تدلابايرو رئيس حكومة اريتريا

أراد جلالته من المسلمين والمسيحيين أن يتمسك كل منهما بالفضائل التى حث عليها الدين، ويترسم خطى العاملين الصالحين والمصلحين، فأنشأ لكل منهما معبدا تتجلى فيه مظاهر العبادة ، وتتلى فيه مراسم التقى ويذكر فيه الخالق ، ويخشع المخلوق ، فيتمسك بمبدئه ويؤدى واجبه ، ويعرف ما عليه لوطنه وربه من واجبات وحقوق .

ولقد تكرم جلالة الامبراطور بالرد على كلمة فضيلة قاض مصوع. تلك الكلمة التى ظهر منها مقدار ما يتنسم به جلالته من ادراك واسع ، وذكاء حاد ، ونظر بعيد ، فلقد قال فيها :

« ان الله العلى القـــدير هو الملك الأبدى للسموات والأرض ومن فيهما من الكائنات ، ولكن ارادته العلية شاءت أن تجعل فى الأرض خلفاء من عباده ، كمـا اقتضـــته حكمته ، وتعلقت به ارادته ، وأودع فى الطبيعة البشرية الشعور بحاجة الناس بعضهم الى بعض ، الى التعاون والتآزر فى أمور صلاحهم ومعاشهم ، حتى تتحقق لهم الحياة فى هذا الكون ويطيب لهم العيش فى هذا الوجود .

« والملوك هم خلفاء الله على عباده ، اختارهم بمقتضى مشيئته ، ليكونوا امناء على محافظة النظام البشرى ، وبقاء نوعه ، ورعاية مصالحه اذ انه ضرورى للنوع الانســـانى وكمـــال وجوده . وقد أودع ربهم فيهم وازعا يدفع بعضهم عن بعض ، ويبعد ضرر كل عن الآخر ، لما فى غريزة بنى الانسان من العدوان والظلم .

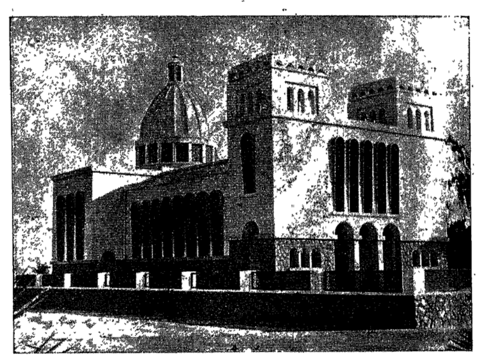
« والمسلمون والمسيحيون أمام هـــذا النظام الالهى سواء ، رغما عن ارادة بعــض الأمم التى لا يروقها الا ان تستغل الفوارق الدينية والعنصرية ، وتجعلها اساسا لخلق المشاكل ، وسببا لوجود المتاعب بين أبنــاء الوطن الواحد » .

« مع أن التعاليم الاسلامية والمســيحية لا يستهدفان الا غاية واحدة ، ولا يرميان الا الى غرض شريف واحد ، هو ايجاد المحبــة

والاخاء ، وانتشار الأمن والسلام بين الناس، وان الأمة التى تحيد عن هذا الهدف السامى لا يمكنها أن تصل الى الكمال المنشود ، الذى يجب أن يكون عليه بنو الانسان فى هـــذا العالم)) .

((وعلى هذا لا ينبغى ابدا أن يجعل الدين سبيلا الى العداوة ، ووسيلة الى البغضاء ، وايجاد الشحناء بين الانسان وأخيه الانسان)) .

((ولقد كررنا هـــذا المعنى فى كثير من المناسبات ، وبينا أن مبدأنا دائما هو :))



كنيسة القديسة مريم الجديدة التى بناها جلالة الامبراطور فى ثغر مصوع على نفقته الخاصة

« الدين لله والوطن للجميع »

((وهانحن أولا نعيده مقرونا بالعمـــل مجتمعين معكم فى المسجد والكنيسة ، وهما عنوانا الدين المسيحى والاســلامى . يذكر فيهما اسم الله فى كل وقت وحــين . وان عملنا لدليل صادق ، وبرهان ســـاطع على اخلاصنا ومحبتنا لشعبنا ، الذى يبادلنا ذلك الشعور . وقد تجلى لنا ذلك فى كل مــكان مررنا به ، أو حللنا فيه ، منذ أن بدأنا فى هذه الرحلة حتى هذه الساعة)) .



يتجلى هنا وحدة الأمة وهى مجتمعة فى مكان واحد لمناسبة افتتاح المسجد والكنيسة فى مصوع

ثم استطرد جلالته :

((عندما غزا العدو اثيوبيا وقف ابناء هذه

الأمة جميعا فى وجه العـــدو مسترخصين أرواحهم وأموالهم دفاعا عن الحرية صـــونا، ومحافظة على أرض الوطن ، وانا لنأمل من شعبنا الباسل أن يكون دائما وحدة متماسكة فى السراء والضراء » .

« ما دام كان الدين ذريعة يلجأ اليها الاعداء لتفرقة وحدة الشعوب الشرقية . وقـــد وجدت عند ذوى النفوس الضعيفة ــ والتى خفى عليها حقيقة الامر ، ولم يتميز عندها الخبيث من الطيب ــ أرضا خصيبة فنمت وترعرعت ، ونضجت وأثمرت ، وهـــوت ببلادهم الى هوة الذل ودرك الهوان ... »

« ولكن تلك الدعايات المغرضة الـــتى كان الاستعماريون يبثونها فى الشـــعوب الشرقية بوسائل مختلفة ردحا من الزمن قد اضمحلت وباءت بالاخفاق ... »

« ذلك لأن هذه الشعوب العريقة قـــد ادركت ، وصحت من نومهـــا ، وثابت الى رشدها ، وتنبهت لتلك الألاعيب ، وهـــذه الدسائس ، التى كانت تحاك حولها اخيرا بفضل قادتها وساستهاالذين وهبوا أنفسهم لاعلاء مجد الشرق ، ونهضته وتقدمه ، فى مضمار الحضارة مرة اخرى » .. ..

* * *

هذه هى كلمة حضرة صاحب الجلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول . ومنها تعرف نفسه وروحه وفؤاده وايمانه ويقينه بحق شعبه وواجب أمته . فلا تراه الا وقد انبرى للخير واندفع نحوه مقدما على انجازه .

وما ذلك العمل الذى توج به تلك الزيارة الا أثر من آثار حبه الكريم وايمانه العميق بحق أبناء شعبه أجمعين .

لقد جاء هذا الخطاب الامبراطورى البليغ فتحا جديدا من فتوح القول والبيان ، اذ مس جلالته فيه شغاف القلوب مسا رفيقا ، رغم قوة القول ، واصالة البلاغة ، وحرارة الحماسة ..

ألم تر الى جلالته — فى هذا الخطاب بالذات — يذكر الشرق والشرقيين ، بألم الغيور على الوطن والدين .. ألم تره وهو يذكر ... « تلك الدعايات المغرضة ، التى كان الاستعماريون يبثونها فى الشعوب الشرقية ، بوسائل مختلفة .. الخ »

ثم يذكر جلالته كيف .. أن « هذه الشعوب العريقة قد أدركت ما يدبر لها ، وصحت من نومها ، وثابت الى رشدها ، وتنبهت لتلك الألاعيب وهذه الدسائس التى كانت تحاك حولها .. الخ »

ان الشرق هو مصدر النور ، وهو مصدر الحضارات ، ومطلع فجر العقائد السماوية والديانات .. ولقد شع من الشرق نور المعرفة والعقيدة حين كان الغرب يتخبط فى دياجير الظلمات . ولئن جاء على الشرق حين من الدهر أخذته سنة من النوم ، وغفوةمن السبات ، عن مجده التليد ، وتراثه المجيد ، فأغار عليه الغرب .. فهاهو ذا يستيقظ يقظة قوية ، جبارة سحرية ، يسترد بها تراثه ، ويستعيد شبابه ، ويتدارك ما فاته ..

ثم يحمل بيده مشعل النور ، ليضىء للانسانية طريق العز والفخار ، ويخرجها من ظلمات المادية ، الى ضياء الروحانية ، لتحيا سعيدة فى سلام ووئام ..

وما ذلك الا بفضل قادة الشرق وعظمائه ومصلحيه من أمثال الامبراطور هيل سلاسى الأول ، ومن نهج نهجه ، واتبع خطته ..

« وكل من سار على الدرب وصل » .

الفصل الثاني والعشرون

الزيارة الثانيـــة لأسمرة

كلما مر الزمن حمل لجلالته عملا من أعمال الخير ، وسطره فى سجل الأيام ، وأملاه على سمع من الزمان ، وخلده فى صفحات التاريخ ، فهاهو جلالته لم يكد ينتهى من وضع الحجر الأساسى لبناء المسجد والكنيسة فى مصوع ، حتى صعد متوجها مرة أخرى الى مدينة أسمرة لا للتنزه والاستجمام ، ولكن لغرض نبيل وغاية شريفة ، وعمل نافع مفيد ، فقد كان يقصد وضع الحجر الأساسى لبناء مدرسة عالية ومستشفى عام للشعب الارتيرى . أراد جلالته لهذا الشعب الكريم أن ينشأ صـحيح الجسم سليم التفكير ، فقام بهذا العمل الجليل . فما المدرسة الا ناشر للثقافة ، وموسع للادراك ، وميسر للامة سبيل التعليم الذى أصبح فى هذا العصر لازما لكل أمة متحضرة ، ودولة متقدمة ، فهو سبب المجد والرفعة به ترتفع الأمم ، وتعلو الدول الى ذروة السعادة والعزة فيخفق عدوها وتنمو بوساطته أخلاقها .

والأمر كما قال شوقى أمير الشعراء :

وليس بعـــامر بنيـــان قوم   اذا أخـــلاقهم كانت خـــرابا

فانه اذا ارتفعت الأخلاق ، وسمت النفوس ، قلّت الجرائم ، وأغلقت السجون ، ولا سبيل الى رفعة الأخلاق ، وسمو النفوس الا بانشاء المدارس لنشر التعليم وقد صدق من قال :

(من فتح مدرسة فقد أغلق سجنا)

أعـد بالعـلم سؤددها فانى ... وجدت العصر علما واختراعا
أليس لديك تاجاها وعـرش ... يظل الشـم منهـا والبقـاعا
ألست سليل من بعث السرايا ... الى الجـوزاء تأخذها افتراعا
فمثلك يمنح الأوطان خـيرا ... وأنت خلقت من خـير طباعا
وأنت منيلهـا ما تبتغيـه ... وأكرم من يروم لهـا النفاعا

ولا يمكن للامة أن تعيش موفورة النشاط صحيحة الجسم الا اذا كان هنالك من يشرف عليها بالعلاج ، ولا سبيل الى ذلك الا بانشـاء مستشفيات تضمن للشعب سلامته ، وتحفظ على الجسم صحته وقوته ، فلا عجب أن ينشىء جلالته هاتين المؤسستين ، ويقوم بهذا العمل الجليل فالحق يقال انها لمكرمة ملكية سامية كان لها أكبر الأثر فى نفس الشعب ، مما جعله يلهج بالثناء ويبتهل بالضراعة الى الله العلى القدير ، أن يطيل حياة جلالته حتى يعيش الشعب تحت ظل تاجه الملكى فى أمـن ومحبة وأخاء . وحتى يرى جلالته أمته وقد تبوأت مكانتها ، ووصـلت الى ما يرجو لها من خير ورشاد .

الفصل الثالث والعشرون

افتتاح المسجد والكنيسة فى مصوع

فى يوم الجمعة ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ هـ
٢٩ من يناير سنة ١٩٥٤ م

قارئى العزيز :

قدمت اليك فى الفصل التاسع عشر أن جلالة الامبراطور هيل سلاسى الأول كيف كانت نفسه الكبيرة وثابة الى الخير . يتجلى لك ذلك واضحا عندما شرف جلالته ثغر مصوع فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٣ وأمر ببنـاء معبدين (المسجد والكنيسة) على نفقته الخاصة ، وقد ذكرت فيما تقدم الكلمة التاريخية التى قالها عند ارساء الحجر الأساسى لبناء هذا المسجد . وهاهو ذا الآن يتحدث اليكم جلالته فى افتتاح ذلك المسجد ولم يمض عام كامل الا وقد شيد أفخم تشييد بسرعة ومهارة فائقتين ، طبقا للنظام الحديث .

وكل ذلك مبعثه رغبة صاحب الجلالة فى أن يرى شعبه يجنى ثمار حريته واستقلاله ، التى كافح وبذل النفس والنفيس فى سبيلها أعواما طوالا :

وهاهى ذى تلك الكلمة السامية التى تفيض كلها سماحة ومحبة لشعبه :



فضيلة قاضى مصوع الشيخ حامد أبو علامة يلقى كلمة الشكر
امام جلالة الامبراطور بمناسبة افتتاح مسجد مصوع
الذى بنى على حساب جلالته الخاص

قال جلالته :

« شعبى العزيز ، لسـنا فى حاجة الى تذكيركم مرة أخرى بما تحدثنا فيه معكم فى السنة الماضية عنـدما أرسـينا الحجر الأساسى لبناء هذا المسجد الذى نحتفل اليوم بافتتاحه شاكرين الله العلى القدير الذى وهبنا الحياة ، وأمدنا بالتوفيق لنشـاهد معكم

والبشر يملأ قلوبنا جميعا أتمامه وافتتاحه على أكمل صورة .وقد هييء للمتعبدين،لأن حاجة الانسان الى الغذاء الروحى ليست أقل من الغذاء المادى ان لم تكن أكثر حاجة الى الغذاء الروحى » .

« ولسنا فى حاجة ايضا أن ننوه فى هـذا المقام الى ما يتمتع به شعبنا فى اثيوبيا من حرية الاعتقاد أيا كان نوعه . لأن الأقوال وحدها لا تنهض دليلا على اقامة دعائم الأمة وتقوية بنيانها ، ووحدة عناصرها ، وان لم تكن مقرونة بالأعمال » .

« ولا أدل على ما نقول من تشييد هـذا المسجد الذى أمرنا ببنائه على نفقتنا الخاصة رغبة منا فى التأكيد على اخلاصـنا ومحبتنا لشعبنا منذ الوهلة الأولى التى تسلمنا فيها مقاليد أموره » .

« وكما ذكر بحق فضيلة القاضى فأن العمل الذى اختارنا الله لأجله هو لحمـاية رعايانا والسهر لأجلهم فى تادية واجباتهم الدينية والدنيوية معا بحرية مطلقة » .

« فاذا كان الدين هو الغـاية القصـوى والمقصد الأسمى للنفس البشرية فأن النفس الانسانية يسعدها كذلك ان تعيش مع أخيها الانسان فى هذا الوجود على بساط المحبـة والوئام » .

« أن جميع الاتيوبيين الذين يعيشون فى هذه الامبراطورية العريقة لهم وعليهم حقوق وواجبات على السواء » .

« ولقد شاهدتم بانفسكم كيف أننا قد وضعنا فى العام الماضى برامــج الأنشـــاء ، والاصلاح والتعمير منذ قدمنا لزيارة هــذا البلد لأول مرة . وها هو ذا اليوم كما ترون نجنى ثماره المرجوة وفوائده العظيمة لهــذا البلد تحت ظلال الحرية والاستقلال » .

« ولما كانت سياستنا التى رســـمناها تستهدف دائما النهوض والتقدم فى شــتى النواحى ، ومجاراة للزمن الذى يتطلب السرعة والانتاج ، امرنا بانشاء مدرسة بحرية لينتفع بها أبناء هذا البلد وخاصة ونحن فى عهــد يحتاج الى التدريب على الصناعات المختلفة الذى آمل أن تؤتى هذه المؤسسة نتاجهــا المرتقب على خير وجه ، واكمل فائدة التى تتلاءم والعصر الحديث » .

« وأملنا معقود فى ان تتلاقى مجهوداتنا ومؤازرتكم بغيرة وحماسة واقدام على انجاز رسالتنا فى الحاضر والمستقبل » .

وما ان فرغ جلالته من القاء كلمته التاريخية التى قوبلت بالاعجاب والتقدير من الجماهير ، حتى قام صاحبا الفضيلة الأستاذان الجليلان . فضيلة الشيخ ابراهيم مختار أحمد عمر مفتى الديار الاريترية وفضيلة الشيخ حامد أبو علامة قاضى مصوع بالنيابة عن مسلمى هذا البــلد يعبران عما يجيش بقلوب مسلمى هذا البلد من البشر والإخلاص ، والسرور والشكر والتقدير على تفضل جلالته باقامة هذا المسجد الذى أنشأه على نفقته الخاصة تقديرا منه لشعور المسلمين .

* * *



حضرة صاحب الجلاله الامبراطور « هيل سلاسى الأول » وبجواره مفتى الديار الاريترية وصاحب السعاده نائب الامبراطور ، وخلف جلالته بعض عظماء الدولة ــ فى تشريف حفل افتتاح المسجد الذى شيده جلالته فى مصوع

قال فضيلة الأستاذ المفتى : —

« فى هذا اليوم التاريخى تفتتحون معبدين لأبناء دينين ولدا كتوأمين لهداية الناس جميعا الى السعادة الأبدية »

« وان عملكم هذا ليرمز الى اتحاد أبناء الملتين لصالح دينهم ودنياهم كما اتحد معبداهما فى البدء والختام فى هذه البقعة » .

« ياصاحب الجلالة :

« فى عام ٦١٥ ميلادية قد هبط الى هذه الجزيرة أول فوج من حملة الدين الاسلامى برئاسة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد آواهم وأحسن وفادتهم سلفكم النجاشى حتى سجل التاريخ لملوك الحبشة « اتيوبيا » أجل مفخرة لا تمحى على مر الدهور والأيام لدى كافة المسلمين .

« ياصاحب الجلالة :

« ان لم تشاركوا جسما سلفكم النجاشى فى وفادة واكرام أولئك الضيوف الهابطين من الصحابة الكرام . فبدون شك انكم قد شاركتموه فى إكرامهم بعملكم هذا بتجديد هذا المعبد الاسلامى التاريخى (فى وسط جزيرة هبطوا اليها قبل أربعة عشر قرنا) .

« وان هذه الأريحية الامبراطورية سوف يكون لها فى نفوس المسلمين أثر مجيد فى مختلف السنين والأيام » .

« كما أن هذه المؤسسة ستبقى أمام الأجيال القادمة راسخة تتحدث عن عظمة مجددها .

« وختاما نضرع الى الله تعالى جل شأنه أن يكون افتتاح هذين المعبدين فى يوم واحد فاتحة عهد جديد ، يحفه الهناء والاخاء والألفة والعدل ، بين أبناء الملتين ، تحت ظلال جلالتكم أنه سميع الدعاء .

ثم وقف صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حامد أبو عـلامة قاضى مصوع وألقى الكلمة التالية :

« ياصاحب الجلالة :

« فى العام المنصرم وضعتم الحجر الأساسى لهذا الجامع بيـدكم الكريمة . وفى هذا اليوم المبارك تفتحونه افتتاحا رسميا بعد أن شيدتموه أفخم تشييد . »

« ياصاحب الجلالة :

« نظرتم الى الاسلام بحكمتكم الرشيدة ، وأدركتم طبيعته السليمة ووقفتم عند الغاية الأولى التى ينشدها رعاياكم المسلمون فى هذا البلد ، تلك هى عمارة المسجد ليؤدوا فيه شعارهم الدينى فى كل وقت وحين .

« فالمسلمون اذ يتقدمون لجلالتكم بالشكر والعرفان على هـذه السماحة الفريدة التى خصكم الله بها من بين الملوك السابقين . ليضرعون الى الله أن يوفقكم الى خدمة هذا الوطن الذى يأمل الكثير من الانشاء والاصلاح على يديكم وفى ظل عهدكم الميمون السعيد . »

واختتم كلمته سائلا الله أن يديم بقاء الامبراطور سعيدا ويكلل مساعيه بالنجاح والتوفيق والتأييد .

***

وهكذا يفتح التاريخ صفحة بيضاء لجلالة الامبراطور لما اتسم به من سماحة فى الدين وعدالة فى الرعية وايمانه القوى الراسخ بأن الدين لله والوطن للجميع .

وهذا هو شعاره دائما ، وكثيرا ما يردده ويذكره فى مناسبـات عديدة ، وأوقات كثيرة .

وان نظرة واحدة الي الكلمات القيمة التى يتحدث بهـا فى كل مناسبة لتعطينا أكبر دليل على ما تنطوى عليه نفسيته الخيرة القـوية المشبعة بحب الجميع فى ظل وطن حر قوى كريم .

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى :

أدار محمـد وتراث عيسى　　لقـد رضياك بينهما مشـاعا
لقد نبذ التعصب فيـك قوم　　ليمتنع الحمى بهـم امتنـاعا

خاتمة

هـذه هى اتيوبيا كما ترى فى عصرها الـذهبى عصر الامبراطور هيل سلاسى الأول قد انتعشت وترعرعت وازدهرت وأينعت وجنى الشعب ثمار نهضتها ، وقطاف تقدمها وحضارتها ، فتراها وقد شـاركت عظيم الدول فى مرافق المجد والسعادة ، حتى أصبحت اليوم تشعر العـالم بوجودها ، بعد أن كانت تعيش فى عزلتها بعيدة عن العالم السـياسى والاجتماعى .

هذا هو جلالةالامبراطورهيل سلاسى الأول،وتلك هى حياته المليئة بالجهاد والنضال الزاخرة بالتضحية والاقدام تدل على عظمته ، وتسجل مفاخره فى صفحات التاريخ ، فهذه سفارات اتيوبيا قد انتشرت فى جميع الدول وهؤلاء رجالها قد اتصلوا بالساسة العظماء حتى عرف الجميع أن اتيوبيا اليوم هى بلاد جديرة بالمجد ، خليقة بالاستقلال .

وأخيرا وليس آخرا . هذا هو ما أسعفتنى به الذاكرة ، ووافانى به القلم فى هذا المقام ، فمعذرتى اليك ياقارئى اذا كنت لم أستطع الكتابة والحديث اليك أكثر من هذا . ففى ذهنى وفى اتيوبيا الكثير عن نهضتها وتعدد نواحيها ، فهى متشعبة . نهضة فى التعليم ، ونهضة فى الزراعة . ونهضة فى الصناعة . ولا تنس مقدار ما لجيشها المغوار الفتى الحديث فى كل شىء . يملأ قلبه ما ورثه عن آبائه وأجداده من ولاء وإخـلاص لمليكه وبلاده . وحماسة وغيرة على وطنه وعرينه .

فلعلك بعد هذا قد تبينت فى هذا السفر فضل جلالة امبراطـورها وماله من أياد بيضاء فى تحول بلاده ، والقفز بها الى ميادين الحضارة والرقى والتقدم فى سرعة خاطفة ، تدل على عبقرية أصيلة غير وانيـة ولا زائفة . وكيف تخطى جلالته بشعبه العقبات ، وجنبه كثيرا مـن الأزمات :

شـجاعا كنت فى يوم عصيب   توفيهـا المحبة والدفاعـا
جنحت الى السلام فكان حلما   وقـدما زين الحلم الشـجاعا

واذن فقد كانت عودة الملك الامبراطور الى وطنه المحبوب ، تجديدا لشباب هذا الوطن نفسه :

ويا وطنى لقيتك بعـد يأس   كأنى قد لقيت بك الشـبابا
وكل مسـافر سيؤوب يوما   اذا رزق السـلامة والايابا

ثم توطد الملك ، الى أن بلغ سماء المجد ، وما يزال باذن الله ماضيا الى السماكين ، ما اتحد بنوه ، وائتلف ساكنوه ، وهم متحدون سرمدا ، مؤتلفون أبدا ، ما عملوا بتعاليم قائدهم الحكيم ، وامبراطورهم العظيم .

هيل سـلاسى الأول

حفظه الله وأعزه

أتيوبيا الخالدة
ملكا وشــــعباً

ما كدت أنتهى من مطالعة هذا السفر الجليــل (اتيــوبيا فى عصرها الذهبى) لمؤلفه الأستاذ « عمر محمد على » وأستشف ما فيه من وطنية دافقة ، وحماسة فى الحق متأججة ، تحبب المثل العليا للنفوس ، وترسم الطريق القويم لمن يتشوف الى الأفق البعيد ، حتى انبثق قلمى بتــلك القصيدة ، عن اخلاص مطبوع ، وايمان مفطور غير مزوق ولا مصنوع . ولعلى بما تضمنته من معان صادقة ، أكون قد أديت واجبــا نحو القطر الشقيق ، قطر اتيوبيا العريق فى مجده ، المأمول فى واسع نهضته ، وخطير وثبته ، فقد ربطت بينه وبين قطرنا وشائج النيل المبارك ، وانه لرباط مقدس على مدار القرون والأجيال .

عبد المنعم قنديل

وهذه هى القصيدة الخريدة التى تفضل بها الصديق الكريم بعد اطلاعه على هذا الكتاب :

بعث أمة

بقلم الصحفى الشاعر الأستاذ عبد المنعم قنديل

نَفَضَ الحيــــاةَ مهــــانةً وقُيودا

وطَنٌ تمنَّعَ أن يعيشَ مَسُودا

وأزالَ عن عَيْنيه أسْــــدافَ البِلَى

حتى يرى نورَ الحيــــاةِ جديدا !!

حفزَتْه فى أعمــاقِهِ وطنيَّــــةٌ . . .

لا يستطيعُ لهـــــا الزّمانُ خمودا

ما قرَّ فى عَصْفِ الخُطُوب ولا وَهَى . .

شَرُّ المـــــذلَّةِ أن تبيتَ مَقُودا !

مَهَــد السبيلَ إلى العُــــلا بكتائبٍ

تقِفُ المنــــايا دونهن سُجُودا ! !

كم مِنْ شَهيدٍ فى الرِّمال بأرضِــــهِ

يبْقَى على المجــــد الخَضِيبِ شَهيـدا

عرفَ الطريقَ إلى الخلود ، فَخَاضَــهُ

نارًا ، فألبسَــه الفنــــــاء خلودا !

وإذا البطولةُ شَعْشَعَتْ نَفْسَ امْرِئٍ

لقى المنيَّــة فى الـكفاح جليـــــدا ! !

* * *

ما ابن الأباة الصـــيد ، كيف أحلْتَهَا

رَوْضًا . . . يضوعُ خمــائلاً وورودا

وأخذتَ من بأسِ الحــديد عَزَائمًا

كادَتْ تُحيـــــلُ لك الرَّمادَ حديدا

وأعَدْتَ للأَوْطَانِ ســالفَ عِزِّها

حتى رَأَتْ فردوسَهَا المفقودا !

فجَّرْتَ فيهــــا للشَّجاعَةِ سَلْسَــلاً

يَسْـــقِى القـــــلوبَ شَمائِلاً وجُهُودا

فإذا بماضــيها ترفُّ به الرُّؤَى . . .

ويَـؤوبُ من فَـلَكِ القُرون مَجيــدا !!

* * *

يا شعبَ « إِتْيُوبْيَا » وحسبُكَ أن رَوَى

عنكَ الزمانُ ، وما حَباكَ مزيدا ! !

لك فى رُبَى مصرٍ ، وفى جنّــــاتها

ما يجعــلُ الوطَنَ الشقىَّ ســعيدا

ينســابُ نهرُكَ بالجمــالِ غرائباً . . . .

فيحوكُ وشْـياً فى الصخور نَضِــــيدا

أَنَّى اسْـتفاضَتْ فى الثَّرى أمواجُــهُ

نَسَّقْنَ فيــه من الزُّهُور عقودا

فــكأنما حُلَلُ النُّجومِ تنــاثرتْ . . .

فوق الأديم وَشَائعــــا وَبُرُودا

يَنْهَـلُّ منك على الـكِنانَةِ عــــذْبُهُ

فيردُّ عَيْشَ الُمقْــتِرينَ رغيـــدا !!

***

عَلِّمْ زمانَكَ كيف تُـكتَسَبُ العُــلاَ

والحقُّ يُصبح فى الشُّعوب وطيــدا !!

إنا نَعيشُ بعـــــالَمٍ ، لم يُصـــبِهِ

إلا الدِّماء مَلاَحِنًا ونَشِـــــيدا!

ما زالَ صوتُ الأمس فيــك مجلجلاً

يَنْــدَى جَــلاَلاً ، أو يفيضُ خــلودا!

عرف « النّجاشى » كيف يحفظُ ملكَهُ

ويزيدُه فى الحادثات صُعُودا !!

فأقام من سَمْحِ العَدَالة دَوْلةً

لم تلقَ فيها للمَضيمِ وُجُودا !!

كم حَاطَ فيها المسْلِمين بِبِرِّهِ

ورَعَى لهم يوم اللِّقاء عُهُودا

واليومَ يَنْهَضُ بالبِلَاد مُمَلَّكٌ

كم جَازَ شأْواً بالبِلَاد بَعيدا

قد سَارَ « هيل » بشَعْبه نحو العلا

ومَضَى على النَّهْجِ السَّديدِ سَديدا

ضَمَّ القلوبَ على الوِئام ، فلا ترى

فى المُلْكِ إلَّا مُثْنِيًا وَوَدِيدًا !!

نَبَذَ التّعَصُّبَ ، وهو ينشُدُ وَحْدَةً

للشّعب ، تَأْبَى أن يَصير بَدِيدا

شِيَمٌ تُضِىءُ له الحياة ، فيبتغى

مما يضىء له الحياة مَزِيدًا !!

